

محمد طاها هنري الجبلاوي

مكتبة لسان العرب  
www.lisanarb.com

# الكلام في شعر البختري وأبي قتام

ملتنم الطبع والنشر  
دار الفكر العربي

2271  
505097  
J485  
351

# مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

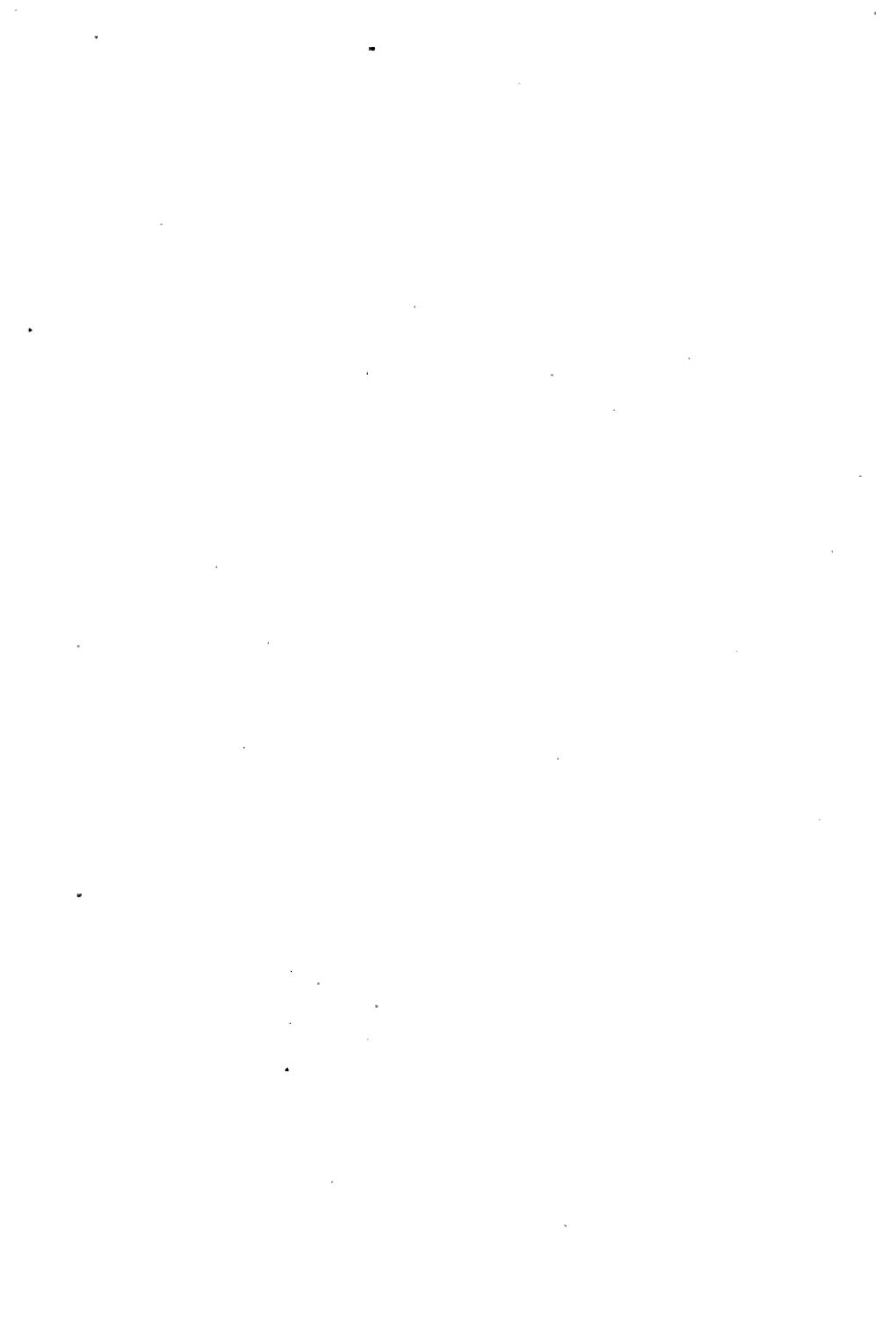


[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

## فهرس الكتاب

صفحة

٥	تقديره . . . . .
٧	شاعران . . . . .
٤٦	نشأة النقد عند العرب . . . . .
٦٨	رأى المتقدمين في شعر البحترى وأبي تمام . . . . .
٩١	وصف الربيع بين البحترى وأبي تمام . . . . .
١٠٧	وصف المطر عند أبي تمام والبحترى . . . . .
١١٣	القصور في شعر البحترى . . . . .
١١٨	وصف إيوان كسرى للبحترى . . . . .
١٢٣	الحكمة في شعر أبي تمام . . . . .



## تقديمة

ليس هذا الكتاب كتاباً في حياة البحترى وأبو تمام . ولكننه كتاب في الكلام عن شعرها وما يتصل به . لذلك لم نذكر فيه عن تاريخهما إلا ما يحتاج اليه القارئ في فهم هذا الشعر ومعرفة انجاهاته .

نشأ أبو تمام والبحترى في أوائل القرن الثالث للهجرة . وعاش البحترى حتى أدركوا آخره . وعاصر الشاعران عهداً من عمود التطور والانقلاب في الدولة العربية . فكان شعرها مرآة صادقة لذلك العهد .

وأبو تمام والبحترى شاعران مجددان . وشعرها يختلف كثيراً عن شعر من تقدمهما من الشعراء ، بل ومن آتى بعدهما كذلك . لهذا كثير الكلام عنهما واختلفت وجوه النظر في شعرهما .

ونحن في هذا الكتاب نعطي فكرة عن الشاعرين . والمؤثرات النفسية والاجتماعية التي أحاطت بكل منهما . ونتكلم

عن طبيعة النقد عند العرب . ونعرض آراء النقاد المقدمين فيهما ، ونبدي رأينا فيها ، ونتناول بالتحليل بعض القصائد الممتازة من شعرها . ونضعهما في ميزان النقد الحديث . حتى يسمطيع دارس الأدب في العصر الحديث : أن يتذوق هذا الشعر الرفيع من مورد صاف المشارب خال من الشوائب .

وقد أسميتها : **الكلام** — في شعر البحترى وأبي تمام — وهو اسم ينطبق على موضوع الكتاب . وأرجو أن أكون قد وصلت إلى بغيتى من إبراز النواحى الشعرية ، والأبانة عن أغراض الشعر . لشاعرين هما في مقدمة شعراء اللغة العربية .

محمد طاهر الجبروني

## شاعر أن

كان الشعراء يجتمعون في كل جمعة في القبة المعروفة بهم  
بجامع بغداد ينشدون الشعر ويعرض كل منهم على أصحابه  
ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها . فبيتها هم  
ي مجتمعون يسمعون إنشاء بعضهم بعضاً ظهر شاب في آخريات  
الناس في ذى الاعراب فلما فرغ كل منهم وقطع إنشاده التفت  
الشاب إليهم وقال : قد سمعت إنشادكم منذ اليوم . فاسمعوا  
إنشادى ، فقالوا لهات فأنشد : فحواك عين على نجواك يا ندل  
ثم مر فيها منشدأ حتى أتى إلى قوله :

تغير الشعر فيه إذ سهرت له     حتى ظننت قوافييه ستقتل  
وكان من الحاضرين أبو الشخيص فعقد عند هذا البيت  
خنصره ، ثم استمر الشاب يلقى حتى انتهى من قصيدةه . ثم  
أنشد قصيدة أخرى . فقالوا له من هذا الشعر فقال لمن أنسد كوه .  
قالوا : ناشدناك الله من تكون ؟ فضحك وقال أنا أبو تمام  
الطائى ، فرفعوا مجلسه وعظموه تعظيمها كبيراً  
قال علي بن الجهم : واشتد اعجابنا به لدماثة أخلاقه وفضاحه

منطقة وجودة شعره . ثم انى ما عرفت عقد خننصر أبي الشيص  
هل كان اعجياً به مما سمع في البيت من البديع المرقص ، أو أخذ  
عليه في إسكان الياء في قوله : حتى ظننت . وهى ضرورة جائزة  
عند الشعراء . والحق أن تخفيف الياء وإسكانها مما يحيزه الشعراء  
غير ضرورة .

وما كان هذا ليغيب عن أبي الشيص . ولكنها أخذ بمحاجال  
البيت ورقته وانصرف إلى ما يعرضه هذا الفتى المجهول من دقيق  
اللقط وبديع المعنى بين جم من كبار الشعراء ، أخذوا كما أخذ  
أبو الشيص .

كان هذا أول عهد أبي تمام بمحالس الشعراء في بغداد وأول  
ظهوره بين رجال الأدب فيها . . . وذاع خبره وانتشر ذكره ،  
وتحدث الناس بشعره . وأقبل أخلفاء والأمراء ورجال الدولة :  
يدعوه إليهم ويقدمونه على غيره من شعراء عصره ورجال  
الأدب فيه . وهو عصر حافل بالشعراء المبرزين . وحسبك أنه  
جمع أمثال على بن الجهم ودعبيل الخزاعي والبحترى وديك الجن  
الحمصى ، وأبو الشيص وأنبت بن المعز وابن الرومى وغيرهما من  
الشعراء الفحول .

وأَجِيزَ أَبُو تمام على شعره بالخلع والجوائز الثمينة وأخذت  
تتدفق عليه الأموال من كل جانب . وفي مقدمة من مدحهم  
المأمون والمعتصم والواثق . وفي قول ابن أحمد بن المعتصم وقع له  
بالموصى على قصيده التي يقول في مطلعها :

ما في وقوفك ساعة من باس      تقضى زمام الأربع الأدراس  
ومن غزٍّ لها قوله :

بَكْرٌ إِذَا ابتسَمَتْ أَرْدَكَ وَمِنْضَهَا      نُورُ الْأَفَاحِ بِرْمَلَةِ مِيعَانِ  
وَإِذَا مَسَتْ تَرَكَتْ بِصِدْرِكَ ضَعْفَ مَا      بِحَلْيَاهَا مِنْ كَثْرَةِ الْوَسْوَاسِ  
قَالَتْ وَقَدْ حَمَ الْفَرَاقَ فَكَأْسَهُ      قَدْ خَوْلَطَ السَّاقَ بِهَا وَالْحَاسِي  
لَا تَنْسِينَ تَلَكَ الْعَهْوُدَ فَانْهَا      هَمْمَيْتَ إِنْسَانًا لَآنَكَ نَاسِي  
وَمِنْهَا فِي مَدْحِ بَنِي العَبَّاسِ

فِي الْأَرْضِ مَعْرُوفَ السَّيَاءِ قَرَى لَهَا      وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو العَبَّاسِ  
الْقَوْمُ ظَلَّ اللَّهُ أَمْسَكَنَ دِينَهُ      فِيهِمْ وَهُمْ جَبَلُ الْمُلُوكِ الرَّوَاسِيِّ  
فِي كُلِّ جَوْهَرَةِ فَرْنَندِ مَشْرُقٍ وَهُمْ فَرْنَندُ الْمُؤْلَاءِ النَّاسِ  
وَقَيْلَ إِنَّهُ لَمَا وَصَلَ فِي مَدْحِ الْأَمِيرِ إِلَى قَوْلِهِ

إِقْدَامُ عَمْرُو فِي سَاحَةِ حَاتِمٍ      فِي حَلْمِ أَحْنَفِ فِي ذَكَاءِ إِيَّاهِ  
قَالَ لَهُ أَبُو يُوسُفُ يَعْقُوبُ بْنُ الصَّبَاحِ الْكَنْدِيِّ الْفِيلِسُوفُ :

الأمير فوق من وصفت . كيف تشبه ولد أمير المؤمنين بأعراب  
أجلال ، وهو أشرف منزلة وأعظم محله ؟ فانقطع وأطرق  
ثم رفع رأسه وأنشد :

لاتسکروا ضربی له من دونه مثلا شروداً في الندى والباس  
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس  
واستمر في إنشاده حتى أتم القصيدة . ولما أخذت من يده  
لم يجدوا البيتين فيها فعجبوا من سرعة فطنته . واهتز ابن العتصم  
لذلك طرباً وبهت له متتعجباً ووقع له بالموصل .

ويقال إن الفيلسوف الكندي قال لا بن العتصم أى شيء  
طلبه فأعطاه فانه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً ، لانه ظهر  
في عينيه الدم من شدة الفكرة ، وصاحب هذا لا يعيش إلا هذا  
المقدار ، فقال له ما تستحب ؟ فقال أريد الموصل فأعطيه إياها .  
فتوجه إليها وبقي هذه المدة ومات .

وفي قول آخر إن أبا تمام لما خرج بعد إنشاء القصيدة قال  
الفيلسوف الكندي : هذا الفتى يموت قريباً لأن ذكاءه ينفتح  
عمره كما يأكل السيف الصقيل غمده . وسواء كان القول الأول  
هو الصحيح أو القول الثاني . فإن الرواية في الحالين تدل على أثر

هذه الفكرة المترتبة في حينها ودهشة الأمير وجلساته ل تلك  
البدية المفحة ، وهزيمة الفيلسوف الكندي على مكانته وسمو  
قدره أمام الأمير . وقد لاذ بطبعه وحكمته من منطق أبي تمام  
وسرعة بديهيته ١١

ومدح أبو تمام عبد الله بن طاهر : وهو من السادة المعروفين  
بالأدب وعلو الحمة .. تولى خراسان وتولى مصر . وما قيل فيه  
وهو بها .

يقول أنس إن مصر بعيدة وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر  
حدث محمد بن العباس اليزيدي قال : لما شخص أبو تمام إلى  
عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ومدحه بالقصيدة التي يقول  
في مطلعها .

أهن عوادي يوسف وصواحبه فعز ما فقد مما أدرك النجع طالبه  
أنكر عليه أبو العميشل قوله « أهن عوادي يوسف  
وصواحبه » وقال لأبي تمام لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال لأبي العميشل :  
لم لا تفهم ما يقال ؟ فاستحسن منه هذا الجواب على البدية .  
وفسر ابن طاهر على أبي تمام ألف دينار فلم يمسها بيده ترفع عنها .  
فأغضبه ذلك . وقال يتحقر فعلى ويترفع على . وأبطن بمجائزه :

وكان يبعث إليه بالشىء بعد الشىء كالقوت.

وأبو العمينيل كان كاتب ابن طاهر وشاعره . وكان كاتب أبيه من قبله . دمما يروي في بيته أنه قبيل يوماً كف عبد الله ابن طاهر فاستحسن شاربه فقال : شـ وك القنفذ لا يؤلم كف الأسد .

ولكن أبا العمیشل بہت لبديھة أبی تمام وحدة ذکاره .  
وكان موقفه منه کوقف الفیلسوف الـکندي . ولکنه عاد فاًقی  
معتذرًا الى أبی تمام لعبد الله بن طاهر ، ثم دخل إلى عبد الله فقال:  
أيها الامیر ، أتهماون بمثل أبی تمام وتجفووه فهو الله لو لم يكن له من  
النباهة في قدره والاحسان في شعره والشائع من ذکرہ ماله ،  
لـکان الخوف من شره والتوق لذمه يجبر به على مثلك رعايته ،  
ومراقبته ، فكيف له بـزوعه اليك من الوطن ، وفراقه لاسکن ،  
عاقداً أمله معملا اليك رکابه ، متعباً فيك فـکرہ وجسمه ہو فی  
ذلك ما یلزمك من قضاء حقه حتى ینصرف راضیاً .

فقال عبد الله لقد نبهت فأحسنت ، وشفعت فلطفت ،  
وعانبت فأوجعت ، ولاتك ولابي تمام العقى . ودعاه فنادمه يومه

وأمر له بألفي دينار وما يحمل من الظهر وخلع عليه خلعة قامة  
من ثيابه

واتصل أبو تمام بالحسن بن وهب وأخيه سليمان ، وكان  
من أعيان عصرهما أدباء وجاهما . وفي آل وهب يقول :

كل شعب كنتم به آل وهب فهو شعبي وشعب كل أديب  
ومن قصيدة له يصف غلاماً أهداه إليه الحسن بن وهب

لدن البنان له لسان أجمع خرس معانيه ووجه مغرب

يرنو فيتمل في القلوب بطرفه  
ويعن للنظر الحررون فيصحب  
وأظنهما بالريق منه ستة طب

قد صرف الرانون حمرة خده  
ومدح أحمد بن أبي دؤاد وله فيه الاعتزارات الجميلة ومنها  
قوله في حساده :

نزعوا بسمهم قطيعة يهفو به  
ريش العقوق فكان غير سديد

إذا أراد الله نشر فضيلة  
طويت أتواء لها لسان حسود

لو لا اشتعال الناز فيماجاورت  
ما كان يعرف طيب عرف العود

للحاسد النعمى على المحسود  
لو لا التخوف للعواقب لم تزل

وهذه الآيات من خير ما قاله أبو تمام ، بل هي من أجود

ما قيل في الحسد بوجه عام . وقد جمعت بين قوة التعبير وجمال

الفكرة في قالب من النظم البليغ ، وتبعد فيها الحكمة البليغة  
والمنطق الحكيم . وهو من النواحي التي اشتهر بها أبو تمام .

وأتصل الشاعر بأبي دلف العجل : أحد قواد المعتصم .  
ومدحه بالقصائد البليغة . ونال منه العطايا الكثيرة ووصف  
بعض المعارك التي خاضها ومن خير ما قاله في ذلك قصيده التي  
يقول في مطلعها :

أما الرسم فقد أذكرنا ماملنا فلاتكفن عن شانيك أو يكفا  
وكان أبو دلف قد خرج في جيش لجبي تحت إمرة الأفшиين  
لحربة بابك الخرمي . وكانت قد امتدت فقتنته وعظم خطره .  
وكان بابك على مذهب المزدكية الذي يدعو إلى إباحة الالذات  
و واستباحة الحريات وزاد عليه القتل والنهب فقتله الأفшиين في  
الموقعة التي يصفها أبو تمام في هذه القصيدة . ومن قوله فيها :  
إن الخليفة والأفшиين قد علاما من اشتفي لهم من بابك وشقى  
و منها في وصف إقدام جيشه وهزيمة بابك

ذمرت جمع الهدى فانقض منصلتنا

و كان في حلقات الرعب قد رسفما  
و أمر ببابك من العيش منجدبا مخلوليا دمه المعسول لو رُشقا

حير أن يحسم سجف النقع من دهش  
 طودا يخادر أن ينقض أو جرفا  
 خلل القنا يستقى من صفة مهجا إما نمادا<sup>(١)</sup> وإما ثرة خسفا  
 هن مشرق دمه في وجهه بطل وواهل دمه للرعب قد نزفا  
 خذاك قدسيت منه القنا جرعا وذاك قدشربت منه القنا نطفا  
 ومن جيد شعره في أبي دلف بائته التي يقول في مطلعها :  
 على مثلها من أربع وملاعيب  
 أذيلت مصونات الدموع السواكب  
 ومنها يصف شعره في المدوح  
 إليك أرحنا عازب الشعر بعد ما تمهل في روض المعانى العجائب  
 غرائب لاقت فى فنائك أنسها من المجد فهى الآن غير غرائب  
 ولو كان يفني الشعر أفناده ماقرت  
 حياضنك منه فى العصور الذاهب  
 ولكن صوب العقول إذا انجلت  
 سحائب منه أعقبت بسحائب

(١) الثاد : الماء القليل . والثره العين الكثيرة الماء والخسف الكثيرة الماء أيضا .

وَقَيْلٌ إِنْ أَبَا دَلْفٍ لَمَا أَنْشَدَ الْقُصْيَدَةَ أَجَازَ أَبَا نَعْمَانَ  
بِخَمْسِينَ الْفَ دَرْهَمَ . وَقَالَ وَاللَّهِ إِنَّهَا الدُّونُ شِعْرُكَ . ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ  
مَا مِثْلُ هَذَا فِي الْحَسْنِ إِلَّا مَا رَأَيْتَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ الطُّوسِيُّ .  
فَقَالَ أَبُو نَعْمَانَ وَأَيْ ذَلِكَ أَرَادَ الْأَمِيرُ ؟ قَالَ الْقُصْيَدَةُ الَّتِي أَوْلَاهَا  
« كَذَا فَلَيَجِلَّ الْخُطْبَ وَلَيَفْدَحَ الْأَمْرَ » وَدَدَتْ وَاللَّهِ إِنَّهَا لَكَ فِيْ .  
فَقَالَ أَفْدِي الْأَمِيرَ بِنَفْسِي وَأَهْلِي وَأَكُونَ الْمَدْمَ قَبْلَهُ فَقَالَ أَبُو دَلْفٍ :  
إِنَّهُ لَمْ يَمْتَ منْ رَفِيْ بِهَذَا الشِّعْرِ .

وَابْنُ حَمِيدٍ الطُّوسِيُّ : مَنْ قَوَادَ الْمَأْمُونَ . وَكَانَ قَدْ أُرْسَلَهُ فِي  
جَيْشِ الْحَارِبَةِ بِابْلَكَ الَّذِي سَيَقْ ذَكْرَهُ ، فَهُزِمَ جَيْشُ بِابْلَكَ هُوَ  
وَمَنْ مَعَهُ . وَانْقَضُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ . وَكَانَ لِقَتْلِهِ صَدِيْ أَلِيمٍ فِي  
نَفْسِ الْمَأْمُونَ . وَيَقْالُ إِنْ أَبَا نَعْمَانَ حِينَ بَلَغَ إِلَيْهِ النَّعْيَ غَمْسَ طَرْفَ  
رَدَائِهِ فِي مَدَادَ وَضَرَبَ بِهِ كَتْفِيهِ وَصَدْرِهِ وَأَنْشَدَ قُصْيَدَةً مَشْهُورَةً  
فِيهِ وَمَنْ حَيَدَ مَا فِيهَا قَوْلُهُ فِي وَصْفِ قَتْلِ ابْنِ حَمِيدٍ فِي هَذِهِ  
الْمَعرَكَةِ ، وَشَجَاعَتِهِ وَإِبْلَانِهِ .

فَتَى مَاتَ بَيْنَ الْطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مِيتَةً

تَقْوِيمُ مَقَامِ النَّصْرِ إِنْ فَاتَهُ النَّصْرُ

وَمَا ماتَ حَتَىٰ ماتَ مُضْرِبٌ سَيْفِهِ  
مِنَ الضَّبْ وَاعْتَلَتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السَّمْر  
وَقَدْ كَانَ فَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَهُ  
إِلَيْهِ الْحَفَاظُ الْمَرْ وَالخَلْقُ الْوَعْرُ  
وَنَفْسٌ تَعْفُّ الْعَارَ حَتَىٰ كَأْنَهُ  
هُوَ الْكُفَّرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَوْ دُونَهُ الْكُفَّرُ  
فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رَجُلَهُ  
وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ إِخْمَصَكَ الْحَشْرُ  
وَمِنْ قَصَائِدِ أَبِي نَعَمَ الَّتِي تَرَوَى فِي كُلِّ عَصْرٍ قَصِيدَتِهِ الَّتِي  
مَدَحَ بِهَا الْمُعْتَصِمَ بِاللهِ وَوَصَّفَ فِيهَا فَتْحَ عُمُورِيَّهُ . وَمِنْ طَلَعَهَا :  
«الْمَسِيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءِ مِنَ الْكِتَبِ» فِي حَدَّهِ الْخَدِّ بَيْنَ الْجَدِّ وَالْلَّاعِبِ  
وَمِنْهَا فِي الرَّدِّ عَلَى تَخْرِصَاتِ الرَّهْبَانِ وَالْمَنْجَمِينَ :  
أَيْنَ الرَّوَايَةُ بِلَ أَيْنَ النَّجُومُ وَمَا  
صَاغُوهُ مِنْ زَخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذْبٍ  
تَخْرِصًا وَأَحَادِيثًا مَلْفَقَةً . لَيْسَتْ بِنَبْعِ إِذَا عَدْتَ وَلَا غَرْبٌ  
لَوْ يَبْنَتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ لَمْ يَخْفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْنَانِ وَالصَّلَبِ  
وَمِنْهَا بِخَاطِبِ الْمُعْتَصِمِ وَيَصْفِ نَارَ الْمَوْقَعِ :

لقد توكت أمير المؤمنين بها  
للنار يوماً ذليل الصخر والخشب

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى  
يقله وسطها صبح من الهب

حتى كان جلا يدب الضحى رغبت  
عن لونها أو كان الشمس لم تغرب

ضوء من النار والظلماء عاكفة

وظلمة من دخان في ضحى شحب<sup>(١)</sup>

لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على

بان بأهل ولم تغرب على عزبه

ومنها في وصف سبايا الحرب :

كم نبيل تحتم ستاهها من سني قمر

وتحت عارضها من عارض شنب

كم كان في قطع أسباب الرقاب بها

إلى المخدرة العذراء من سبب

---

(١) شحب يمعن متغير

كم أحرزت قضيب الهندي مصلحة  
تهتز من قضيب تهتز في كتب  
بيض اذا اتضحت من حجبها رجعت  
أحق بالبيض أبداناً من الحجب  
ولما مدح أبو تمام الوزير محمد بن عبد الملك الزييات بقصيده  
التي يقول في مطلعها :

ديعة سمعة القياد سكوبٌ مستغثث بها الثرى المكروب  
قال له ابن الزييات وكان من خول البلاغة وصيارة الكلام :  
يا أبو تمام انك لتحلى شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك  
ما يزيد حسناً على بهى "الجواهر في أجياد السكوابع، وما يدخل  
شيء من جزيل المكافأة إلا ويصغر عن شعرك في الموازاه  
قليل وكان بمحضره فيلسوف فقال : إن هذا الفتى يموت  
شاباً . فقيل له ومن أين حكمت عليه بذلك ؟ فقال رأيت فيه من  
الخدمة والذكاء والفتنة مع لطافة الحس وجودة الخاطر ، مما عالمنى  
أن النفس الروحانية تأك كل جسمه كما يأك كل السيف الهند غمده .  
وتبعد القصيدة بوصف بديع للمطر ، يرتفع فيه الشاعر إلى  
آفاق عالية يجاري فيها السحاب المحتوى ويرمقه ويناجيه مناجاة .

الأوداء الأصفيناء ، بل إن نفسه لتنقذ وتنتحفز للاقاته  
 في عليةاته ، وتنخيل الأرض وهي تكاد تجاريه في هذا التحفز  
 والشوق ، والخلق وهم يشاركونه شففه وولوعه ومنها قوله .  
 لو سمعت بقعة لأعظام نعمى لسعى نحوها المكان الجديب  
 لدشئوبها وطاب فلو تس طيع قامت فعاقتها القلوب  
 فهى ماء يجري وماء يليه الحال منها كما استسر المربيب  
 كشف الروض رأسه واستسر  
 فإذا الرى بعد محل وجراها ن لديها يبرين أو ملحوظ  
 وقد شارك أبا تمام البحترى في مدح ابن الزيات ولهم فى  
 القصائد البليغة .

ولد أبو تمام حبيب بن أوس الطائى بقرية جاشم من أعمال  
 دمشق سنة تسعين ومائة لاب من الروم اسمه ثدوس واعتنق  
 الاسلام حين بلغ سن الرشد وكان أمير اللون طويل القامة فى  
 حدائقه ت名叫 بيسيرة . ويقال إنه المقصود بقول الشاعر .

يا نبى الله فى الشعر ويا عيسى بن مرريم  
 أنت من أشعر خاق الله ما لم تتكلم  
 ولا بذلك أن من يفهم الفلسفه والشعراء فى حضرتهم

ويshireم بمدينه في المواقف التي يبتناها فيما تقدم وفي كثير غيرها  
لأنه من مدينه تتمه بسيرة ذاتي وصف بها أبو عام .

والشطر الأول من هذين البيتين لا يقال فيمن كانت له  
مكانته في الشعر وعلو قدمه ، فانهم إنما يعنون بكلمة نبى الله  
في الشعر من لا يجيد قوله : إشارة إلى قوله تعالى : وما هو  
يقول شاعر . ويقولون : فلا من بيت النبوة ، إذا أرادوا أن  
يسليبوه موهبة الشعر . وهذا ما يسمونه الهجاء في معرض  
المدح .

ومن مؤلفات أبي تمام غير ديوانه : كتاب الحماسة ، ويقال  
إنه كتبه في هذان أثناء رحلته لعبد الله بن طاهر والى خراسان .  
وقد أقام بها ينتظرك زوال الثلوج ، وكان قد نزل عند رجل لديه  
خزانة كتب فيها دواوين العرب وغيرها ، فتفرغ لها وطالعها  
وصنف منها خمسة كتب منها كتاب الحماسة . ويدرك أن  
أبا تمام كان يحفظ من شعر العرب أربعة عشر ألف أرجوزة ،  
غير المقاطع والقصائد . وسواء أصبح هذا الكلام أو لم يصبح فهو  
يدل على اشتهراب أبي عام بالرواية . ولكن الذي قد نشك فيه أو  
تحجد فيه بعض الغلو هو أن أبا عام قد صنف كتاب الحماسة أو

ديوان الحماسة كما نسميه وأربعة كتب أخرى في صناعته القصيرة عند ذلك الهمذاني ، الذي أقام لديه ربما يزول الشبح من طريقة وهو متاهب للسفر . فان اختيار مثل هذه الكتب من بين كلام العرب على التحو الذي نراه ، يحتاج إلى وقت غير ذلك الوقت الذي يقضيه المسافر العجل في صناعة إنسان .. وقد كان أبو تمام على اتصال بذوى المكانة والصدارة من الخلفاء والأمراء والوزراء في بغداد والموصل فهو في غنية ، ولديه منادح لاطلاع والاختيار فضلا عن روايته التي لا يلحقه فيها غيره ، وقد ألف كتاب الاختيار من الشعراء ، ونحو الشعراء : ويجمع طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والحضرمين والسلاميين وله كتاب الوحشيات ونفائض جرير والأخطل

كان أبو تمام شاعراً بلغياً لم يتقدمه شاعر في حياته . وكان يذهب مذهب البديعيين في توشية الشعر وترصيده وقدأ كثي في شعره من لغة المجاز والتورىة . وان كان إنما يذهب في هذا عن فطرة وطبيعة . ويظهر ذلك في بعض أحاديثه ورسائله إلى من يرتفع بيته وبينهم التكاليف .

ومن إشاراته الطريفة أنه أرسل يستدعي أحد أصدقائه

إلى الشراب وكان يسكر من قد حين فـ كتب اليه :  
 إن رأيت أن تنام عندنا الليلة . فافعل . فـ كفى عن السكر  
 بالنوم وقد غالب وصف أبي تمام بالحكمة لما ورد في شعره من الأهمية  
 والحكم حتى قيل المتنبي وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري .  
 ونحن نضع قصائده في وصف المعارك الحربية ومراثيه ووصفه  
 للربيع والسحب والمطر في المكان الأول . وبرى أن الحكمة  
 تأتي عرضًا في شعره . فهو شاعر من أخصصه إلى قمة رأسه .  
 وقد توفي أبو تمام بالموصل سنة إحدى وثلاثين ومائتين  
 وبني عليه أحد بنى حميد الطوسي قبة خارج باب الميدان على حافة  
 الخندق ومات بعد موته دعبدل الخزاعي الشاعر المهجاء وكان صديق  
 البحتري فقال في رثائهما .

قد زاد في كلفي وأوقد لوعتي	مشوى حبيب يوم ممات ودعبدل
أخوي لازل السماء تخيلة	تفشا كما بسماء مزن مسبيل
حدث على الأهواز يبعد دونه	مسرى النعى ورمة بالموصل

\*\*\*

ويقتربن باسم أبي تمام اسم أبي عبادة البحتري :  
 قال كان أول أمرى في الشعر ونباهتى أنى صرت إلى أبي تمام

وهو بمحض فعرضت عليه شعري ، وكان الشعراء يعرضون  
أشعارهم فأقبل على وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا قال :  
أنت أشعر من أنسدنى ، فكيف حالك ، فشكوت اليه خلة .  
فمكتب إلى أهل معرة النعيم وشهد لى بالصدق في الشعر وقال  
أمتدهم . فصرت إليهم فأكرموني بكتابه ، ووظفوا إلى أربعة  
آلاف درهم ، فكانت أول مال أصبت به .

وروى عنه أنه قال : أول ما رأيت أبا تمام ، أني دخلت على  
أبي سعيد محمد بن يوسف فأنسدته القصيدة التي أوصلاه ، « أافق  
حبيب من هو فآفيقا » وعدة أبياتها ثلاثة وسبعون بيتاً فسر  
أبو سعيد ، وقال أحسنت والله يا فقي ، وكان في مجلسه رجل نبيل  
رفيع المجلس فوق كل من حضر . فأقبل على وقال : يا فقي أما  
تستحي ؟ هذا شعرى تتحلله وتذشى بحضرتى ! فقال أبو سعيد :  
أحقا تقول ؟ قال نعم ، وإنما علقة مني فسبقنى به إليك . ثم اندفع  
فأنشد القصيدة ، حتى شكلت علم الله في نفسى وبقيت متغيراً .  
فأقبل على أبو سعيد . وقال يا فقي لقد كان في قرابتك منا وودك  
لنا ما يغريك عن هذا فجعلت أحلف بكل محرجة من الآيات ،  
أن الشعر ما سبقنى إليه أحد ولا سمعته ، ولا اتحللت به ، فلم ينفع

ذلك شيئاً . وأطرق أبو سعيد وفطع بي حتى تهنت أني سخت  
في الأرض فقمت من كسر البال أجر رجلي . فخرجت . فما هو  
إلا أن بلغت باب الدار ، حتى خرج الغلام إلى قردوني . فأقبل  
على الرجل وقال : الشعر لك يا بني ، والله ما قلته قط ولا سمعت  
به إلا منك ، ولكنني ظننت أنك تهاونت بموضعى ، فأقدمت  
على الأنشاد بحضورتى من غير معرفة كانت يدتنا ، تريد بذلك  
مضاهاتى ومكاورقى ، حتى عرفنى الأمير نسبك وموضعك  
ولو ددت ألا تلد طائية إلا مثلك . وجعل أبو سعيد يضحك .  
فدعانى أبو تمام فضمنى إليه وصافنى ، وأقبل يقرظى ولرمته بعد  
ذلك وأخذت عنه ، واقتديت به

وحدث قال أنسدت أبو تمام شيئاً من شعرى فتمثل بهيت  
أوس بن حجر :

اذا مقرم منا ذرا حد نابه تحيط منا ناب آخر مقرم  
ثم قال لي : نعيت والله الى نفسي ، فقلت : أعيذك بالله من  
هذا القول فقال : إن عمرى لن يطول ، وقد نشأ فى طى مثلك ،  
أما عامت أن خالد بن صفوان رأى مشبيب وهو بين رهط يتكلم .  
فقال : يا بني لقد نهى إلى نفسي إحسانك في كلامك . لأننا أهل

يَبْلُغَ مَا نَشَأْ فِينَا خَطِيبُ قَطِ الْأَمَاتِ مِنْ قَبْلِهِ . فَقَلَمْتُ بِلِيْبِيْكَ  
اللَّهُ ، وَيَجْعَلَنِي فِدَاكَ . وَمَاتَ أَبُو تَمَّامَ بَعْدَ سَنَةٍ .

وَقَدْ عَلَا كَعْبُ الْبَحْرَى وَسَما قَدْرُهُ فِي الشِّعْرِ ، وَلِكُنَّهُ كَانَ  
عَلَى الدَّوَامِ يَحْفَظُ لَأَبِي تَمَّامَ حَقَّهُ فِي التَّقْدِيمِ ، وَيَرَاهُ صَاحِبًا وَإِمامًا ،  
وَكَانَ يَفْضُلُهُ عَلَى نَفْسِهِ . وَيَرَوِيُّ أَنَّهُ أَنْشَدَ شِعْرًا لِنَفْسِهِ كَانَ  
أَبُو تَمَّامَ قَالَ مِثْلَهُ ، فَقَيْلَلَ لَهُ : أَنْتَ أَشْعَرُ مِنْ أَبِي تَمَّامَ فِي هَذَا  
الشِّعْرِ . فَقَالَ كَلا . وَاللَّهُ إِنَّ أَبَا تَمَّامَ لِلرَّئِيسِ وَالْأَسْتَاذِ . وَاللَّهُ  
مَا أَكَلَتِ الْخَبِزَ إِلَّا بِهِ . قَالَ الْمَرْدُ وَكَانَ حَاضِرًا : اللَّهُ درَكَ فَأَنْكِ  
تَأْبِي إِلَّا شَرْفًا مِنْ جَمِيعِ جَوَابِكَ

وَبِقِيَ الْبَحْرَى عَلَى إِخْلَاصِهِ لَأَبِي تَمَّامَ إِلَى أَنْ مَاتَ وَانْفَرَدَ  
بِزَعْمَةِ الشِّعْرِ مِنْ بَعْدِهِ . وَصَارَ إِلَى أَنْ أَدْرِكَ الدُّولَةَ فِي أُوجِ كَلَّاهَا .  
وَمَدْحُ الْخَلْفَاءِ وَالْأَمْرَاءِ وَكُبارِ الرِّجَالِ . وَكَانَ يَسْتَطُرُدُ فِي مَدَائِحِهِ  
إِلَى وَصْفِ الْمَعَارِكِ الْحَرَبِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ السِّيَاسِيَّةِ ، وَقَدْ ظَهَرَ فِي شِعْرِهِ  
وَصَفُ الطَّبِيعَةَ وَالْقَصُورَ وَنَوَاحِي التَّرَفِ الْمُتَعَدِّدةِ الْأَلوَانِ .  
يُزَجِّيَهَا فِي زَرْقَةٍ وَعَذْوَبَةٍ تَأْخُذُ بِجَامِعِ الْقُلُوبِ .

فَالْبَحْرَى وَانْ كَانَ مَصْوِرًا بَارِعًا ، يَحْمَلُ الْأَصْبَاغَ وَالْفَرْجُونَ ،  
إِلَّا أَنَّهُ فِي بَدِيعِ نَظَمِهِ وَرَقِيقِ لَفْظِهِ ، يَحْمَلُ قِيَمَارَ الْمُوسِيقِ الشَّجَرِيَّةِ

الانفام ، وفقد انتظم شعره كثيراً من حوادث العصر الذي عاش  
فيه ومن مدحهم البحترى من الخلفاء : المتوكل والمعتز والمعتمد  
والمهتدى ، والمستعين ، ومن رجال الدولة : ابن الزيات  
وابن المدبر ومالك بن طوق والفتح بن خاقان ، وأماماعيل  
بن نو يحيى . والشاه بن ميكال وآل سهل ، وآل ظاهر  
وكتير غيرهم .

وكان يتقصى المال أين كان ، ويذهب في طلبه إلى كل مكان .  
حتى كثير ماله . وتعددت ضياعه ، ولم يصده الازراء عن طلب  
المال ، حتى أخريات حياته . وقد أخذ عليه أنه يكثر من مدح  
الأعاجم ويفصلهم عن العرب في بعض الأحيان . ومن قوله في  
ذلك من قصيدة يمدح بها إذ كوتكيين وقومه من بني ساسان :  
متى لم يزك في العرب ارتياidi حططت إلى رباع الأعجمينا  
نوالى معشراً قربوا اليانا ونرى من تطول آخرينا  
ينتو أعمامنا الدانون منا وواهية النوال بنو ألينا  
وليس عجيباً أن يعتقد البحترى الأعاجم وقد كان لهم أكبر  
 شأن في الدولة . وقد اختتم سينيته بهذه الآيات التي هي عندنا  
يمثابة الرد على من يأخذ عليه هذا المسلط :

ذاك عندي ولیست الدار داری باقترب منها ولا الجنس جنسی  
غير تعمی لآهاما عند أهلي غرسوا من ذکاها خير غرس  
أیدوا ملکنا وشدوا قواه بکاهة تحت السنور دعس  
وأعانوا على كتائب أریا ط بطعن على النحور ودعس  
وأراني من بعد أکلف بالاشراف طرآ من كل سنه وجنس  
وقد وصف البحتری قوق حبه للمال بالبخل والکزاذه . وكان  
يلزم ابراهیم بن المدبر في كل سنة أن یسقط أکثر خراجه أو  
یؤدیه عنه فأراد شراء ضئیعة واستباح ابراهیم فلامه لکثرة ضئیعه  
وقال يکفیك ضئیعك . فقد کثرت وعظمت ، فأنشد قصیدته  
الى يقول في مطلعها :

سفهاها تغادی لومها وجلاجها واکنارها نمارأت وضجاجها  
إلى أن بلغ قوله :

ومازالت العيس المراسیل تنبیری فيقضی لدى آل المدبر حاجها  
فأمر له باسم ماله . ومن رقيق قوله في هذه القصيدة مخاطبها  
ابن المدبر :

فلا أمل إلا عليك طريقة  
ولا رفقة إلا إليك معاجها

يد لك عندى قد أُبر ضياؤها  
على الشمس حتى كادي بخبو سراجها  
هي الراح ثمت في صفاء ورقة  
فلم يبق المتصفح إلا مزاجها  
فإن تلحق النعمى بنعمى فأنه  
يزين اللالـلى في النظام ازدواجها  
ومتها

وكنت اذا مارست عندك حاجة  
على نكـد الأـيام هـان علاجها  
ولم لا أغـالـى بالضـيـاع وقد دـنـا  
على مدـاهـا واستقـام اعـوجـاجـها  
اذا كان لـى تـريـيعـها واغـتـلاـلـها  
وكان عـلـيـكـ كلـ عام خـراـجـها  
وكان ابن المـدـبـر يـقـربـ الـبـحـتـرـىـ اليـهـ ، ويـغـدقـ عـلـيـهـ المـالـ  
الـكـثـيرـ والـشـنـاءـ الـوـفـيرـ . قال الصـوـلـىـ : ذـكـرـ يـوـمـاـ إـبـراهـيمـ بـنـ المـدـبـرـ  
الـبـحـتـرـىـ ، فـقـالـ مـاـ رـأـيـتـ أـتـمـ طـبـعاـ مـنـهـ ، وـلـاـ أـحـضـرـ خـاطـرـأـ ،  
مـدـحـىـ حـيـنـ تـخـلـصـتـ مـنـ الـأـسـرـ وـذـكـرـ الضـرـبةـ الـتـيـ فـيـ وـجـهـىـ ،

و تخلص ومدح المأسور . وهذا حمى مارعاه قبله أحد .  
و كان صاحب الزنج قد أسر ابن المدبر بالبصرة . وكان قد  
خرب في وجهه ضربة بقى أثرها حتى مات . وقد تخلص من  
الأسر سنة ٢٥٧ . وفي ذلك يقول البحتري وهو ما أشار إليه  
ابن المدبر .

ومبينة شهر المنازل وسماها  
والخيل تسکبو في العجاج الكابي  
كانت بوجهك دون عرضتك إذ رأوا  
أن الوجه تصان بالحساب  
ولئن أسرت فما الأسار على أمرىء  
نصر الأسار على القرار بعاب  
نام المضل عن سراك ولم يخف  
عين الرقيب وقوسوا الباب  
ماراعهم إلا امترافق مصلتا  
عن مثل برد الارقم المنساب  
ومما يروى في بخل البحتري هذه القصة التي يرويها أبو مسلم  
محمد بن الأصبغهاني الكاتب . قال دخلت على البحتري يوم الخميس في

عند ودعا ب الطعام له ودعاني اليه فامتنعت من أكله . وعند شيخ  
شامي لا أعرفه قدمه الى الطعام فتقدمنا وأكل معه أكلانهيفا  
ففاظه ذلك ، والتفت الى " أتعرف هذا الشيخ فقلت  
لا . قال : هذاشيخ من بنى هجيم الذين يقول فيهم الشاعر :  
وبنى هجيم قبيلة ملعونة حصى الاحامتشابه والألوان  
لويسمعون بأكلة أو شربة بعنان أصبح جمعهم بعنان  
إلا أنه مع ذلك كان يعف عن المال اذا جاءه من غير طريقه  
المألف أو رأى أن صاحبه يبذل مكرهاً .

حدث أبو الفضل عباس بن أحمد بن ثوابه قال قدم البحترى  
النيل على أحمد بن الاسكافي مادحاته فلم يتبعه ثوابا يرضاه ، بعد  
ان طالت مدة فهجاه بقصيدة الى يقول فيها :  
ما كسبنا من أحمد بن علي ومن النيل غير حمى النيل  
وهجاه بقصيدة أخرى أولها : قصر النيل فاسمعوها عجبوا  
يجمع الى هجائه اياد هجاء أبي ثوابه . وبلغ ذلك أبي فبعث اليه  
بألف درهم وثياب وداية بسر جها وجلامها . فرد ذلك اليه وقال قد  
أصلفتكم اساءة لا يجوز معها قبول رفقكم . فكتب اليه أبي :  
أما الائمة فغفوره ، وأما المعدنة فشكورة ، والحسنات

يذهبن السينيات ، وما يأسوا جراحك مثل يدك ، وقد ردت  
اليك ما رددته على وأضعفته ، فان تلافيت ما فرط منك أثبنا  
وشكرنا ، وان لم تفعل احتملنا وصبرنا .. فقبل ما بعث به  
وكتب اليه ، كلامك والله أحسن من شعرى ، وقد أملفتني  
ما أخجلنى وحملتنى ما أثقلنى ، وسيأتيك ثناى ثم غدا اليه بقصيدة  
أولها : ضلال لها ماذا أرادت من الصد . وقال فيه بذلك :  
برق أضاء العقيق من ضرمه . وقال فيه أيضاً : وان دعا داعى  
الصبا فأجابه . قال ولم يزل أبي يصله بعد ذلك ويتبع بره لديه  
حتى افترقا .

وروى صاحب الأغاني : أنه كان بمحلب شخص يقال له  
ظاهر بن محمد الهاشمي مات أبوه وخلف له مقدار مائة ألف دينار  
أنفقها على الشعراء والزوار فقصده البحترى من العراق فلما  
وصل الى حلب قيل له إنه قد قعد في بيته لديون ركبته فاغتم  
البحترى لذلك غما شديداً ، وبعث المدحه اليه مع بعض مواليه  
فلما وصلته ووقف عليها بكى ودعا بغلام له وقال له بع داري .  
فقال له أتبיע دارك وتبقى على رؤوس الناس . فقال لا بد من  
بيعها . فباعها بثلاثمائة دينار فأخذ صرة وربط فيها مائة دينار

آنفذهما الى البحترى وكتب اليه معها رقعة فيها هذه الأبيات  
لو يكون الحباء حسب الذى أنت لديننا به محل وأهل  
لحوت الاجين والدر واليا قوت حثوا وكان ذاك يقل  
والأديب الأريب يسمح بالعد ز اذا قصر الصديق المقل  
فلما وصلت الرقعة الى البحترى رد الدنانير وكتب اليه :  
بأى أنت والله للبر أهل والمساعى بعد وسعيك قبل  
والنواال القليل يكتر ان شا  
ء مرجيك والكثير يقل  
غير أنى ردت برك إذ كان دبا منك والربا لا يحل  
واذا ما جزيت شعرأ بشعر قضى الحق والدنانير فضل  
فلما عادت الدنانير اليه حل الصرة وضم اليها خمسين ديناراً  
آخرى وحلف أنه لا يردها فلما وصلت الى البحترى أنشأ يقول:  
شكرتك أن الشكر للعبد نعمة

ومن يشكر المعروف فالله زائد

لكل زمان واحد يقتدى به

وهذا زمان أنت لا شرك واحدة

وكانت خلافة المتوكل هي المصر الذهبي للبحترى . فقد  
أحبه المتوكل وأعجب بشعره وقربه اليه وأغدق عليه من ماله

وبه الشيء السكتين . وتفتحت أبواب الشعر أمامه في قصور  
الخلافة فوصف تلك القصور وما فيها من العظمة والسمو وما  
احتوت من البساتين والغياض والمياه وفنون البزخ والترف في  
عصر يعد بحق من أزهر عصور الدولة الإسلامية ، وأغناها  
بالأموال والرجال . وقد وصف البحترى زمن المنوكيل بقوله :

فكانما الدنيا هنالك روضة

راحٌت جوانبها تراح وتُوابِل

أوماً ترى حسن الزمان وما بدا

وأعاد في أيامه المتكَل

أشرقٌ حتى كادي قتبس الدجى

ورطبنٌ حتى كادي مجرى الجندي

وهي أبيات قسّاد تفيض رقة وعدوبة . وقال في وصفه

الجعفرى من قصور المتكَل :

ملكٌ تبوأ خير دار أتشئت في خير مبدى للأنام ومحضر

مخضره والغيث ليس بساكب ومضيئه والليل ليس بمحمر

ومنها :

فرفعت بنياناً كأن منارة أعلام رضوى أو شواهد صيهير

ملأ جوانب الفضاء واصفت  
شرفاته قطع السحاب المطر  
وتسير دجلة تحته فضاؤه  
من لجة غمر وروض أخضر  
شجر تلاعنه الرياح فتشتتني  
أعطافه في سائح متفرج  
وهي أبيات صافية منغومة تدل على صفاء الطبيعة وابتهاج  
النفس الشاعرة، بما ترى وتلمس في تملك القصور، بل الفراديس  
الغناء.

وقد وصف البحيري يركه الجعفري بما لم يصل اليه شاعر من  
سمو المعانى ودقة التصوير. مع رقة اللفظ وجمال الاسلوب ..  
ويقول فيها :

يامن رأى البركة الحسناً رؤيتها  
والآنسات اذا لاحت معانها  
بحسبها أنها في فضل رتبتها  
تعد واحدة والبحر ثانية  
ما بال دجلة كالغيرى تنافقها  
في الحسن طورا وأطواراً تباينها  
ووصف الصديق والمليح من قصور المتوكيل بشعر لا يقل  
بهاء وروعه عن شعره المتقدم، ولازم المتوكيل في أسفاره كما

لازمه في مقامه . وقد أتيح له في تلك الأسفار التي صحب الم توكل  
فيها أن يصف ال كثير من صور الطبيعة المختلفة الألوان  
ومن قوله في وصف دخول الم توكل العراق بعد عودته  
من دمشق

وما زال توحيد المهارى وطها  
بنا البعد من حزن الفلا وسموه

إلى أن بدا صحن العراق وكشفت  
مبحوف الدجى عن مائه ونخيله

يظل الجمام الورق في جنباته  
يذكرا نا أحبابنا بهديله

فأحببت محبًا رؤية من حبيبه  
وسرت خليلاً أوبة من خليله

بنعمى أمير المؤمنين وفضله  
غدا العيش غضاً بعد طول ذبوره

ومن ظريف ما يروى ما رواه جحظة عن علي بن يحيى  
المنجم قال :

اجتازت جارية بالموكل معها كوز ماء وهي أحسن من

النمر . فقال لها : ما اسمك قالت برهان . قال ولمن هذا الماء .  
قالت لستي قبيحة قال صديقه في حلق فشربه عن آخره . ثم قال  
ثانية بحترى . قل في هذا شيئاً فقال :

ما شربة من رحيم كأسها ذهب

جاءت بها الحور من جنات رضوان

يوماً بأطيف من ماء بلا عطش

شربته علينا من كف برهان

وكان يروق للمتوكل أن يداعب البحترى ويعابنه حتى ينال  
 منه ، ثم يعود فيترضاه ويغدق عليه من الأموال هو وأمراؤه  
 مما تتفتح له نفسه وينسيه الغضب . وإن بلغ منه كل مبلغ .  
 حدث أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ جَعْظَةً قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْعَنْبَسِ الصَّمِيرِيُّ .  
 قال كنت عند المأمور والمأمور ينشد :

عن أى ثغر تبتسم وبأى طرف تختكم  
 حتى بلغ إلى قوله :

قل لل الخليفة جعفر الـ مأمور بن المعتصم  
المحتدى للمجتدى والنعمان بن المنقصم  
لأسلم الدين محمد فإذا سلمت فقد سلم

قال وكان البحتري من أبغض الناس إنشاداً يتشادق ويزارو  
فمشيه مرة جانباً ومرة القمرى . ويهز رأسه مرة ومنكبيه  
أخرى ويشير بكلمة ويقف عند كل بيت . ويقول أحسنت والله  
ثم يقبل على المستمعين فيقول ما لكم لا تقولون أحسنت  
هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله

فضجر المتصوّل من ذلك وأقبل على وقال : أما تسمع يا صيرى  
ما يقول فقلت بلى يا سيدى فرنى فيه بما أحببتك فقال بحبياتي أهجه  
على هذا الروى . انشد فيه . فقلت تأمر ابن حمدون أن يكتب  
ما أقول فدعا بدواة وقرطاس وحضرني على البديهة أن قلت :

أدخلت رأسك في الرحم وعلمت أنك تنزم  
يا بحترى حذار ومح  
لك من قضاقة ضغنم  
فلقد أسلت بوالد  
فيك من المحساسيل العرم  
وبهتكه جف القلم  
والله حافة صادق  
لأصيتك شهرة  
حيث الطلول بذى سلم  
يا ابن الثقيلة والثقيه  
مل على قلوب ذوى النعم

وعلى الصغير مع الكبير من الموالى والخشم  
في أى سلخ ترقطم وبأى كف تلقطم

\* \* \*

قال فغضب وخرج يعدو وجعلت أصيح به :  
أدخلت رأسك في الرحم وعلمت أنك تنهز  
والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عن عينه . قال أحمد  
ابن زياد خذني أبني قال جاءنى البحترى فقالى لي يا أبا خالد أنت  
عشيرتى وأبن عمى وصديقى وقد رأيت ما جرى على أفتاذن لى  
أن أخرج إلى منبع (بلد البحترى) بغير إذن فقد صناع العلم  
وهلك الأدب . فقلت لا تفعل من هذا شيئا ، فان الملك تزح  
بأعظم مما جرى ومضيت معه إلى الفتح (وزير المتكى) فشكى  
إليه ذلك . فقال له نحواً من قوله ووصله وخلع عليه فسكن  
إلي ذلك .

ولكن هذا العهد الظاهر الذى نعم به البحترى في ظل  
المتوكل لم يكن ليدوم . إذ أن الدهر كان المتكى بالمرصاد .  
وكانت الحياة تخبيء له وراء ذلك النعيم الذى رفل في بحبوحة  
ردمان الزمن حادثنا نذكر ألم يكن ليخطر لأحد على بال فى ذلك

العصر الذى بسط فيه المتكفل رواقه على كل ما فيه من عز ورفاهية . وانتفع به كل من كان يمت اليه بصلة .

وكأنما الزمان الذى عزف على قيثار البحترى قصائد البديعة فى مباحث الحياة ونعميمها فى ظل المتكفل . أراد أن يعزف على نفس القيثار أناشيد الألم المض والحزن الأليم .

قال البحترى بعد حديث سابق . . . وسكر المتكفل سكرًا شديدًا وكان من عادته أنه إذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين على رأسه ، قال فيبيتـاً نحن كذلك ومفى نحـو ثلاث ساعات من الليل إذ أقبل باغر<sup>(١)</sup> ومعه عشر نفر من الجنود الأتراك . وهم متلئمون والسيوف بأيديهم تبرق في صنوء قلـك الشموع . فهجموا علينا وأقبلوا نحو المتكفل حتى صعد باغر وآخر معه من الأتراك على السرير فصالح بهم الفتح : ويلكم مولاكم . فاما رأهم الغامـان ومن كان حاضرا من الجلـسـاء والنـدـماء قطـاـروا على وجـوهـهم . فلم يبق أحد في المجلس غير الفتح وهو يحاربـهم ويـانـعـهم ، قال الـبحـترـى : فـسـمعـتـ صـيـحةـ المـتكـفـلـ وقد

---

(١) قـىـ منـ الأـتـراكـ كانـ قدـ اـتـخـذـهـ المـتكـفـلـ حرـاسـتـهـ وـدـفـعـ إـلـيـهـ بـسـيفـ ثـيـنـ لـيـقـفـ بـهـ عـلـىـ رـأـسـهـ .

حضر به باغر بالسيف الذى كان المتكوكل دفعه اليه على جانبه الآين  
فقد إلى خاصرته ، ثم ثناه على جانبه الأيسر ففعل مثل ذلك ،  
وأقبل الفتح ينزعهم عنه ، فيرجعه واحد منهم بالسيف الذى كان  
معه في بطنه فأخرجه من متنه ، وهو صابر لا يتنهى ولا يزول ،  
قال البحترى : فما رأيت أحداً كان أقوى نفساً ولا أكرم منه ، ثم  
طرح نفسه على المتكوكل ، فانا معما ، فلما في البساط الذى قتلا  
فيه ، وطرحا ناحية . فلم يزالا على حالتهم فى ليلتهمما وعامة  
نهارها حتى استقرت الخلافة للمنتصر فأمر بهما فدفنا جميعاً .

وقد كان بها الصغير توحش من المتكفل . فكان المنتصر يجتذب قلوب الآتراك ، وكان أوتامش غلام الواثق مع المنتصر ، فكان المتكفل يبغضه لذلك ، وكان أوتامش يجتذب قلوب الآتراك إلى المنتصر . وعبيد الله بن خاقان الوزير والفتح ابن خاقان منحرفين عن المنتصر مائلين إلى المعز ، وكانا قد أغرَا قلب المتكفل على المنتصر . فكان المنتصر لا يبعد أحد من الآتراك إلا اجتنبه . فاستحال قلوب الآتراك وكثيراً من الفراعنة والأشرسية إلى أن كان من الأمر ما كان .

ولم يكن لم يمر هذا الحادث حتى سجله البحتري بقصيدة من

أروع شعره . وصف فيها قصر الجعفرى وعهوده وتغير الزمان  
له بعد ساكنه ووحشته ووصف اسلال القتلة اليه خفية ونزالتهم  
وحقارتهم وصور اغتيال المتوكلى في صورة قوية رزينة . وهدد  
القتلة وتوعدهم وحمل على محرضيهم في شجاعة وجرأة . ويقول في  
مطلع هذه القصيدة :

مُحَلٌ عَلَى الْقَاطِلُولُ أَخْلَقَ دَائِرَه  
وَعَادَتْ صَرْوَفَ الدَّهْرِ جِيشًا تَفَاوِرَه  
كَيْأَنَ الصَّبِيَا تَوَفَ نَذُورًا إِذَا انْبَرَتْ  
نَرَاوِهِ أَذِيَالَهَا وَتَبَاكِرَه  
وَمِنْهَا :

تَغَيِّيرٌ حَسْنٌ الْجَعْفَرِيٌّ وَأَنْسَهُ  
وَقَوْضٌ بَادِي الْجَعْفَرِيٌّ وَحَاضِرُه  
تَحْمِلُ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فِجَاءَهُ  
فَعَادَتْ سَوَاءُ دُورَهُ وَمَقَابِرَهُ  
وَمِنْهَا :

تَخْفِي لَهُ مَفْتَالَهُ نَحْتَ غَرَّهُ  
وَأَوْلَى لَمَنْ يَغْتَالَهُ لَوْ يَجَاهِرَهُ

فما قتلت عنه المزايا جنوده  
ولا دافعت أملاكه وذخائره

تعرض نصل السيف من دون (فتحه)

وغيث عنه في خراسان (ظاهره)

ومنها:

ومفترض لقتل لم يخش رهطه

ولم تختشم أسبابه وأواصره

صريح تقاضاه السيف حشاشة

يجود بها الموت حر أظافره

أدفع عنه باليدين ولم يكن

ليئني الأعدى أعزل الليل حاسره

ولو كان سيفي ساعة القتل في يدي

درى الفاتك العجلان كيف أساوره

حرام على الراح بعده أو أرى

دمًا بدم يجري على الأرض مائرة

ومنها :

أ كان ولـي العهد أضمر غدره فـن عجب أن ولـي العهد غادره

فلاملي الباقي تراث الذى محنى      ولا حملت ذات الدعاء منها به  
وقد كان لهذا الحادث أثر شديد في نفس البحترى وفي حياته  
ومشعره فلما حجب عنه قصر الجعفرى باحتيجاب صاحبه وانصرفت  
عنه ضروب الالهو والمرح ، وانصرف عنها . حملته قدماه إلى  
إيوان كسرى ، فمشى يطلع إليه ويتهافت ، وهو يحمل في نفسه  
تلك الذكريات الألبية والصور الدارسة في عالم الحس ومكانتها  
قائم في صميم قلبه وإنسان عينه . وفي هذا الإيوان نظم سينيته  
التي تعد خير ما أنتجه قريحة البحترى ويقول في مطلعها :

صنت نفسي عما يدنس نفسى      وترفت عن جدى كل جبس  
وتماسكت حين زعزعنى الد      هر التمام منه لتعسى ونكسى  
ومنها ويد ذكر السبب الذى دعاه إلى زيارة الإيوان :

حضرت رحلى المهموم فوجم      مت الى أيض المدائن عنى  
أنسلى عن الخطوب وآسى      محل من آل ساسان درس  
ذكر تنبئهم الخطوب التوالى      ولقد ذكر الخطوب وتنسى  
وأتبع هذه الأبيات بوصفه البليغ للإيوان وتصوير ماضيه  
وحاضره وكأنما كان يذكر قصر الجعفرى وهو يقول في وصف  
الإيوان .

يقطنى من الكآبة أَنْ يبُدو  
لعيّنِي مصباح أو ممسى  
مزعجاً بالفارق عن أنس إلف  
عز أو مرهاقا بتطليم عرس  
عكسست حظه الليلي وبات  
المشتري فيه وهو كوكب نحس  
إن ما في هذه القصيدة من الصور والاحساسات ليعرفها  
إلى أسمى مراتب الشعر الذي عرف في سائر اللغات  
ولكى تتبين وجوه النظر فى شعر الشاعرين يجب أن  
نرجع إلى نشأة النقد عند العرب وسنتناول ذلك بالبحث في  
الفصل القادم .

والبحترى هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله البحترى الطائى  
ولد بمنبج سنة ٢٠٦ هجرية . ونشأ فى البادية بين قبائل طيء  
وغيرها . لذلك غلبـت عليه فصاحة العرب وكانت وفاته سنة ٤٨٤  
وقد عاش بعد وفاته أبي تمام زمانا طويلا وحضر عصورا لم  
يحضرها أبو تمام ، وشاهد ما لم يشاهده من صنوف التراث  
والbizخ . ورأى ما لم يره ووصف ما لم يصف .  
وكان الشاعران الشغل الشاغل لنقاد العرب . ومن تلاميـز  
حتى العصر الذى نحن فيه . مما منعـرض له فى موصـعـه من هذا  
الكتاب .

## نشأة النقد عند العرب

لم يكن للعرب مذاهب في النقد يستطيع الباحث أن يتبعها ويشرحا واحدا فواحدا ، ويقارنها بغيرها مما أتجهت إليه القراء في العصور الأخيرة .

فقد ظل النقد عندهم مقصورا على اللفظ البديع وال قالب البلige وحسن السبك والانسجام والمبالغة في التعبير عن المعنى المقصود ، حتى كان يفضل البيت من الشعر أو القصيدة ، وتعطى حقها من المدح والثناء بقدر نصيتها من ذلك .

خدم ثلاثة كتاب ابن رشيق ، العمدة في نقد الشعر وصناعته ، وهو أكبر كتاب في النقد ، قال فيه ابن خلدون ، إنه أوعى وأجمع كتاب في النقد لم يساوه بعده ولا قبله كتاب آخر ، وكتاب الصناعتين ، لابن هلال العسكري . وكتاب قدامة ابن جعفر في نقد الشعر ، وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وكتاب الموازنة للأمدي . فانك ترى هذه الكتب التي تعد أحسن المؤلفات بالنقد وأشهرها ، لا تكاد تتعدى البحث في اللفظ وال قالب وأنماط من البلاغة والبيان على نحو ما أسلفنا . ولقد

خلال النقد العربي لا يتناوله التطوير ولا يعتبره التغيير في مختلف العصور ، ولم يفكر العرب في تحويل مناحي النقد يوماً من الأيام ؛ بل كانوا أشد حفاظة ومسكاً بالبلاغة اللفظية بعد ظهور الإسلام وفي العصور المتأخرة مما كانوا قبل ذلك ، لاحتياجهم إليها لفهم مراد القرآن الكريم ، ومعرفة مراميه . حتى صارت البلاغة أداة من أدوات الدين ، ونوعاً من أنواع الفقه .

روى الجاحظ عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أنه قال كفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل .

ومن ثم كان الانصراف إلى شعراء الجاهلية ، والتعصب لهم والوقوف عند ما يقولون . مما حد الأفكار وعة دل القراء . ووقف تيار البلاغة ، ومنع حركة التجدد إلى حد كبير .

وكان عمرو بن العلاء لا يروي شعراً للمحدثين . قال الأصمسي : جلست معه ثمانين ، فما سمعته يحتاج بيت إسلامي . وسئل عن المؤلدين فقال : ما كان من قبيح فهو من عندهم وما كان من حسن فهو من عند غيرهم . وكذلك غير ابن العلاء كثيرون . ولا يزال إلى الآن من ينحو هذا النحو .

فالنقد هو المذارة التي تتجه نحوها سفينة التفكير في أى عصر من العصور ، بل هو سكانها الذى يوجهها حيث يشاء ، ويعدل بها عما لا يشاء ، ويرسى بها إلى الشاطئ الذى يريد لها . فتى كان النقد عميقاً والتفكير فيه قوياً . وأراء الناقدين حية تتحرك وتنمو على سنة التطوير . شأن كل حى في الوجود ، فانها دافعة بالأداب إلى معارج التقدم ، ومرافق الفلاح . وعلى النقيض من ذلك كلما كان الأمر على العكس .

كان من الطبيعي أن يتسم النقد العربي بهذا الميسم ، ويكون الذوق فيه على هذا النمط . فالعرب بطبيعة بلادهم الجافة ومعيشتهم البدوية في تلك الجزيرة المترامية الأطراف . قوم رحل يتنقلون من مكان إلى آخر ، في الصحراء ذات الطول والعرض . ينتجعون السكلاً ويشن بعضهم على بعض الغارات . فلا فخر إلا للقوة والذود عن الأعراض ، وحماية الحار ، وإيواء الضعيف . وغير ذلك مما هو قرين بتلك البداوة .

فتلك صفات خلعتها عليهم البيئة وطبعتهم بطبعها فكان من حق النقد أن يأخذ بنصيبيه منها . بل كان من حقه أن يتسم بها تماماً . فالتفاخر بالقوة وشن الغارات . والذود عن الأعراض ،

يقتضي المبالغة في الأقوال ، والتغافل في العبارات الضخامة ، التي  
من شأنها أن توقع التأثير في النفوس .

ولا غرابة إذن إذا كانت تلك الطبيعة البدائية . والفطرة  
المسيطحة تستهويها الألفاظ وتستثيرها العبارات . فهي تسير مع  
العاطفة أينما مسارت ، وتنقاد للوجدان حيث كان . وتعرض عن  
التعقق والاستقصاء . ولا لوم في ذلك ولا تربّب . فتلك السنة  
التي لا مفر منها والنتيجة المقررة في مثل أحوالهم :

لا يسع الباحث في تاريخ العرب إلا أن يتفق معنا على أن  
لهم مزاجاً معيناً ، وصفات معلومة ، خلعتها عليهم طبيعة بلادهم  
كما أوضحتنا . . . فتلك أمة يغلب عليها التأثير والانفعال ويظهر  
فيهم ما الطرب والحماسة بأجل معانيهم . تستعملها الكلمات  
وتستثيرها العبارات . وتستفزها المبالغة ، بما لم يسمع بهله عند  
غيرها من الأمم . ولما كان هذا شأنهم ، كان من السهل أن نرى  
النقد ينساب في هذا التيار من التأثير والانفعال والطرب  
السريري . فلا يكاد يفرج البيت أذن بعضهم حتى يصبح ، هذا  
خبر ما قالته العرب ، أو هذا أغزل بيت قالوه أو أندح بيت

أو أهجاء . أو هذاما لا يستطيع أن يقوله أحد . ويسأل المطلع  
أو الحجّة من أشهر النماض ؟ فسرعان ما يجيئ المسائل ببيت  
من الشعر قد رفع صاحبه وجعلهأشعر الناس . فأى بيت  
يضع صاحبه في هذه المرتبة التي تسموه به إلى هذه المكانة  
الرفيعة ؟ أى بيت من الشعر ، يريح صاحبه من عناء الشهرة  
والسعى المتواصل في سبيل العظمة والخلود ؟

إنه التأثر . هو الذي يعلى مثل هذه الأحكام . وإذا ذكرنا  
الطبيعة العربية واتخذنا منها قاعدة ، وجب علينا أن ننظر  
إلى الموضوع من كافة نواحيه لنصل بذلك إلى حقيقة ثابتة  
يمكن الاعتماد عليها في فهم تلك الطبيعة فهما لا يغتوره النقص  
ولا يتسرّب إليه التزييف .

قلنا إن لعاطفة الجماسة والتأثر المكانة الأولى في تشكين  
أخلاق العربي الذي يصطبغ بصبغته الأدب ثم النقد . وليس أقطع  
في الدلالة على هذه الطبيعة وابتهاها في أخلاق العرب القدامى  
وعاداتهم وأعمالهم بل وكل شيء لهم من تأثير الكلام في تشكيل  
النفوس .

كان الشاعر ينزل في القبيلة فيمدحها بقصيدة أو بيت . من

الشعر فيكون نصيبيها أن يعلو قدرها وترتفع مكانتها ، وتنفرد بالحمد من غير ما سبب إلا أن هذا الشاعر ألم بها في يوم من الأيام فأحسن القوم ضيافته وأكرموا مثواه ! وهذا امرؤ القيس ينزل بيتم فيضيفونه ويكرمون وفاته فيقول فيهم :

أفر حشا أمرىء القيس بن حجر . بيتم مصابيح الظلام  
فتسمى هذه القبيلة ، وترتفع مكانتها ، ويصبح هذا الاسم  
عاماً عليها : مصابيح الظلام .

وقد يعترض بأمرىء القيس لسمو مكانته ومقامه من الملك . فنسوق طائفة مقنعة في هذا الباب لا يبقى معها سبيل إلى الشك في أن ذلك إنما كان ناشئاً من تملك السجية المتجهمسة وذلك الطبع المتأثر

في هذه قبيلة أنف الناقة كانت تفرق من هذا الاسم وتعابده ، حتى جاء أحدهم وهو بغيض بن لؤي بن شحاس بن جعفر أنف الناقة فنقل الحطية من ضيافة الزبرقان بن بدر إلى ضيافته وأحسن إليه فقال فيهم أبياته المشهورة :

سيرى أمام فان الأ كثرين حسا

والآ كرمين اذا ما ينسبون أبا

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم

ومن يساوى بأنف الناقة الذبابة

فصاروا يتطلّون بهذا النسب ويعدون به أصواتهم في جهارة  
وكانت هذه الآيات سبباً في رفعتهم . وهؤلاء بنو نمير قد  
وضعهم بيت جرير وكسرو نسبيهم ، وكانوا جمرة من جراث  
العرب كما يروى اذا سئل أحدهم : ممن الرجل ؟ فهم لفظه ومد  
صوته وقال : من بني نمير .

وهذا الأعشى ي مدح المخلق وهو رجل فقير خامل الذكر ،  
ذو بنات فما يكاد يتم قصيده حتى ينسّل الناس الى الرجل مهنيين  
والأشراف من كل قبيلة يتتسابقون اليه جرياً يخطبون بناته .  
فلا يمسى منهن واحدة إلا في عصمة رجل أفضل من أيها ألف  
ضعف والقصيدة مشهورة يقول في مطلعها :

أرقـتـ وـمـاـ هـذـاـ السـهـادـ المؤـرقـ

وما بيـ منـ سـقـمـ وماـ بيـ معـشـقـ

ومنها :

غـفـىـ النـمـ عنـ آـلـ المـحـلـقـ جـفـنـةـ

كـجـابـيـةـ الشـيـخـ الـعـراـقـيـ تـفـقـ

ثُرى القوم فيها شارعين وينهم  
مع القوم ولدان من النسل دردق  
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة  
إلى صفو نار بالبفاع تحرق  
تشب لقرورين يصطليانها  
وبات على النار الندى والمحلق  
وأكير من ذلك في إبراز تلك الطبيعة أبيات البسوس .  
لعمري لو أصبحت في دار منقد  
لما ضم سعد وهو جار لأبياتي  
ولكنني أصبحت في دار غربة  
متى يعد فيها الذئب يعد على شأني  
فيما سعدلا تفرد بنفسك وارتحل  
فإنك في قوم عن الجارأموات  
ودونك أذوادى نفذها وواتنى  
براحلة لا يغدون ببنياني  
وتسمى عند العرب بأبيات الفناء ، وقد قامت بسببه حرب

بسوس المعروفة . وغير ذلك كثير مما لو أردنا حصره صاقت  
هـ صفحات هذا الكتاب .

هكذا كانت العاطفة العربية شديدة التأثير بالقول كثيرة الاعتداد به . ولا يستطيع الباحث إلا أن يسلم بذلك .

وأسوق على سبيل التفكير في هذا الباب ذكر حمام برقة  
وذالك أن امرأة كان لها حمام يدعى حمام برقة وكان لا يرده أحد،  
ولا يعطف عليه إنسان. وفي جواره حمام آخر يسمى حمام منجاح،  
قد انفرد بالزائرين من كل مكان. فاقتفت صاحبة حمام برقة هذا  
مع أحد الشعراء فكتب لها هذا البيت على بابه:

حمام برقة لا حمام من بباب  
فاتقبل الناس إلى حمام برقة حتى كاد يضيق م .

وإذا تبين لنا ذلك المزاج في خلق العرب لا يمكننا إلا أن نحكم بأنه كان للعواطف محل كبير عندهم . فتلك الطبيعة الحادة تلك النفوذ المتأثرة لغير ما شئ إلا ما يقوله شاعر من بيات أو بيتهن أو أبيات فلا ثبات أن تزلزل الأرض أو تكفر السماء ، وينحط قوم ويترفع آخرون . تلك الطبيعة ولا شك طبيعة الحماسة والحمية ، طبيعة التأثير والانفعال اللذين ينطبع

بِهِمَا ذَلِكُ الْأَدْبُ ، وَيُسِيرُ عَلَى قَصْدِهِمَا النَّقْدُ فِي مُخْتَافِ الْعَصْوَرِ .  
فَإِذَا كَانَتْ لِلنَّقْدِ أَبْوَابٌ عِنْدَ الْعَرَبِ ، فَإِنَّهَا لَا تَقْصِدُ إِلَّا مِنْ  
هَذَا الطَّرِيقِ . وَإِذَا كَانَ لَهُ قَصْدٌ ، فَإِنَّهُ لَا يَمْهُدُ لَهُ إِلَّا عَلَى هَذَا  
الْأَسَاسِ . وَلَا بَدْعَ فَتْلَكَ سُنْتَهُمْ وَعَلَيْهِمَا وَضْعُ الْحِجْرِ الْأَسَاسِيِّ لِلنَّقْدِ  
فَالْعَرَبِيُّ يَفْتَنُ بِالْأَلْفَاظِ ، وَيَطْرُبُ لِلْعُبَارَاتِ ، وَتَسْتَهِيلُهُ  
الْمُبَالَغَاتِ حَتَّى صَحَّ أَنْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الشِّعْرِ أَكْذَبُهُ . وَصَحَّ  
أَنْ يَمْدُحَ الشِّعْرُ أَوْ يَنْدِمَ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِنَ الْفَهْمِ . وَهَا هُوَ يَدْعُ  
حَسَانَ بْنَ ثَابَتَ :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغَرْ يَامِنُ بِالضَّحْيِ  
وَأَسِيافُنَا يَقْطَرُنَّ مِنْ نَجْدَةِ دَمًا  
أَنْظَرَ كَيْفَ تَنَاوَلَهُ النَّقْدُ الْعَرَبِيُّ قَدِيمًا وَأَيْ عِيبٍ اسْتَخْرَجَهُ  
مِثْهُ سَوْى بَعْدِهِ عَنِ الْمُبَالَغَةِ . فَالْجَفَنَاتُ عِيبٌ كَبِيرٌ فِي الْبَيْتِ وَكَانَ أَوْلَى  
لِلشَّاعِرِ أَنْ يَقُولَ الْجَفَانَ . وَلِمَاذَا ؟ لِأَنَّ الْجَفَانَ أَكْثَرَ مِنَ الْجَفَنَاتِ  
وَكَذَلِكَ يَامِنُ . كَانَ الْأَصْحَاحُ أَنْ يَقَالُ فِي الْبَيْتِ يَمْرَقُنَّ ، وَيَقْطَرُنَّ  
يَمْرِينَ أَوْ يَسْبِلُنَّ . فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ النَّقْدَ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الْبَيْتِ  
إِلَّا مِنْ حِيثِ عَدَمِ الْمُبَالَغَةِ ، وَمِنْ حِيثِ أَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَسْرُ عَلَى  
طَرِيقَةِ الْغَلُوِّ .

ولقد كان من العرب من يقول بخلاف ذلك ، إلا أن الذكاء  
لا يقهر الطبيعة ، وهو وان تغلب عليها في بعض المواقف ، فلا بد  
أن ينكص على عقبيه لظهور وتجلى بكل معانها . وليس أبلغ  
في الدلالة على ذلك من هؤلاء الذين يقولون بمذهب الصدق وعدم  
الغلو منهم فهذا حسان بن ثابت تراه يقول .

وإن أحسن بيدت أنت قائله      بيدت يقال اذا أفسدته صدق  
ثم لا تلبث الطبيعة أن تتغلب عليه في كثير من أقواله  
وأقربها قوله :

لساني وسيفى صارمان كلامها  
ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي

وهو في الحقيقة من أبعد الناس عن حمل السيف كما يقولون  
ولم يشهد مع رسول الله مشهداً واحداً . وكذاك كان النقاد ممن  
يقولون بالصدق وعدم الغلو . لا تلبث أن ترى بعضهم يكذب  
نفسه بنفسه فيما يفضله ويختاره ويتمثل به . ومما يمكن من  
الأمر فهو لاء وإن لم يخرجوا الفكرة إلى حيز العمل فلمهم فضل  
التفكير فيها .

لقد كان العرب فيما رأينا لا يعرفون القصيدة ، إلا من

حيث أنها أبيات منسقة منسجمة على قافية وزن واحد، لكن  
يحيط معنى مستقل بذاته لا علاقة له بما يليه إلا من حيث الوضع.  
فإذا صرحت نظرك عن ذلك . فإنك لا تجد إلا أبياناً متفرقة ،  
مرصوصاً بعضها تلو بعض . ومن ثم انتقال النقد في هذا التيار .  
فكان الناقد العربي يلم بالقصيدة بيتهما بيتهما ، ويحمل ما يشاء منها  
على حدته من حيث اللفظ والقافية ومطابقة المعنى لمقتضى الحال .  
أما القصيدة أو المعنى الذي يعود البيت أو البيتين فهذا ما لم ينظر  
إليه . ولو تشنى لبعض الشعراء ما أعاره أحدهم التفات ولم يدخل الأدب  
العربي من قصائد أو أبيات على هذا النحو ، لم يتناولها النقد  
كقصائد أو أبيات لها معنى مطرد متسلسل لا يفهم إلا إذا  
اجتمعت أجزاؤه . نعم لم يتتبه النقد إلى شيء من ذلك بل كان  
الناقد يأتى إلى القصيدة من هذا الطراز ، فيخرج منها أبياناً  
منفردة يمدحها ، أو يهجنها على قدر نصيبها من الاتساق والسير  
مع الأساليب العربية البلية ومراعاة الطرف والمقتضى ، وصحمة  
المقابلة والتقطيم والتفسير والبالغة والكافؤ إلى آخر ما هنالك  
مما لا علاقة له بالقصيدة من حيث هي .

هذه نشأة النقد وسلنه التي درج عليها . وقد توالى العصور

ولم يعترها أى تغيير . حتى لقد صار الشعر لا ينظر إليه في  
الا كثرا الا باعتباره محض أسلوب وقوالب قد يتبناها يتبع الشاعر  
خطى أربابها وينسج على منوالهم . وليس له الا فضل المحاكم  
فإذا شد عن ذلك أو نزع إلى شيء من التجديد عذر زوجة خروجا  
على الشعر وقواعدة كما قالوا في أبي نواس والمتني وابن الرومي  
والمعرى وأبي تمام وأمثالهم ممن أرادوا التحرر من ربوة القديم  
ولم قرض طبائعهم الوقوف عند حد المحاكم . ويرجع هذا إلى فهم  
العرب للشعر والمعنى الشعري . فهم يفهمون الشعر وينقدونه  
كذلك على نحو خاص لا تقاد قرئ له علاقة بما هو معروف عند  
غيرهم . فكلمة الشعر تدل على معنى اصطلاحاً عليه . فلا يفهم  
منها شيء آخر . ومن ثم كان كل خروج على هذا المعنى خروجا  
على الشعر العربي . وليس من حق كائن أن يتصرّف في مفهومه .  
شكل أخراف أو تعديل يخرجه عن حيزه الذي وضنه العرب  
يعتبر خروجاً على معناه .

ومن ثم لم يعترف أكثراً لهم لغير العرب بالشعر . ولم يعنوا  
بأشعار اليونان وغيرهم . أو مجاراتها والأخذ عنها . وليس في ذلك  
من بأس ، إذ أن الشعر عندهم شيء غير ذلك الشعر . وإنما يرجع

كما يقول ابن خلدون . إلى صورة ذهنية للتراتيب المنظمة ككلية باعتبار انطباقها على ترتيب خاص . وتلك الصورة ينتزعاها الذهن من أعيان التراتيب وأشخاصها ، ويصيرها الخيال ، كال قالب أو المثال ، فمـا ينتـقـلـ لـ التـرـاتـيـبـ الصـحـيـحـ عـنـ الدـعـرـبـ باـعـتـبـارـ الـأـعـرـابـ والـبـيـانـ . فيـرـصـمـهاـ فـيـهـ رـصـاـكـاـ يـفـعـلـ الـبـنـاءـ فـيـ القـالـبـ ، أوـ النـسـاجـ فـيـ المـنـوـالـ . حـتـىـ يـتـسـعـ لـ القـالـبـ بـحـصـولـ التـرـاتـيـبـ الـوـافـيـةـ بـعـقـصـودـ الـكـلـامـ . وـيـقـعـ عـلـىـ الصـورـةـ الصـحـيـحةـ باـعـتـبـارـ مـلـكـةـ الـلـاسـانـ الـعـرـبـيـ فـيـهـ . فـاـنـ لـكـلـ فـنـ مـنـ الـكـلـامـ أـسـالـيـبـ تـخـصـ بـهـ . وـتـوـجـدـ فـيـهـ عـلـىـ آـنـحـاءـ مـخـتـلـفـةـ . . . إـلـىـ آـخـرـ مـاـهـنـالـكـ . وـإـنـنـاعـلـلـ ذـالـكـ بـمـاـ يـبـنـاهـ مـنـ إـرـخـاـصـ الـمـعـانـيـ . وـفـهـمـاـذـالـكـ الـفـهـمـ . فـمـاـعـتـقـادـهـمـ إـنـ الـمـتـقـدـمـيـنـ سـيـقـوـهـمـ إـلـىـ كـلـ شـيـءـ فـلـمـ يـبـقـ إـلـاـ تـقـليـدـهـمـ . وـتـقـليـدـهـمـ فـيـ مـاـذـاـ ؟ فـيـ الـأـسـالـيـبـ وـطـرـقـ الـقـوـلـ لـأـنـ الـمـعـانـيـ لـاقـيـمـةـ لـهـاـ وـيـوـجـدـ مـنـهـاـعـنـدـ الـجـاهـلـ مـتـلـ مـاـ يـوـجـدـعـنـدـ الـعـالـمـ كـاـ أـسـلـفـنـاـ . وـلـاـ يـفـهـمـ مـنـ هـذـاـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ هـنـالـكـ أـنـاسـ يـفـهـمـونـ تـطـوـرـ الـشـعـرـ وـالـتـجـديـدـ فـيـهـ بـحـسـبـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ . فـقـدـ كـانـتـ هـنـاكـ مـعـرـكـةـ تـدـورـ رـحـاـهـاـحـوـلـ الـقـدـيمـ وـالـجـديـدـ كـاـ هـوـ حـاـصـلـ الـآنـ ، وـمـاـ يـرـوـىـ فـيـ هـذـاـ الـمـعـنـيـ قـوـلـ أـبـيـ تـمـامـ .

فلو كان يفني الشعر أفناء ما قررت  
حياضنك منه في العصور الدواهيب  
ولكنه صوب العقول إذا انجلت  
سحائب منه أعقبت بسحاب  
وقوله في قصيدة :

يقول من تقرع أسماعه كم ترك الأول للآخر  
رداً على قولهم ما ترك الأول للآخر من شيء .  
و كذلك قول أبي نواس :

فاجعل صفاتك لابنة الـ كرم  
صفة الطلول بلاغة القدم  
لا تخذعن عن التي جعلت  
سقـمـ الصـحـيـحـ وـصـحةـ السـقـمـ  
أـفـدـوـ الـعـيـانـ كـأـنـتـ فـيـ الـحـكـمـ  
تصـفـ الطـلـولـ عـلـىـ السـمـاعـ بـهـاـ  
وـاـذـاـ وـصـفـتـ الشـيـءـ مـتـبـعاـ  
لم تـخـلـ مـنـ جـهـلـ وـمـنـ عـقـمـ  
وـقـدـ كـانـ بـعـضـ النـقـادـوـ الـعـلـامـاءـ بـالـشـعـرـ يـقـولـونـ بـالـزـمـانـ وـالـمـكـانـ  
وـالـتـجـديـدـ إـلـأـ أـنـ فـهـمـ لـلـشـعـرـ لـمـ يـعـدـ الـاسـتـعـارـةـ وـالـتـشـبـيـهـ وـالـمـثـلـ  
الـسـائـرـ وـمـاـ يـجـرـىـ مـجـرـىـ ذـلـكـ .ـ فـهـمـ لـيـسـواـ بـأـحـسـنـ حـظـاـ مـنـ  
غـيـرـهـمـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ .ـ وـلـقـدـ ظـلـ النـقـدـ مـقـصـورـاـ عـلـىـ الـبـيـتـ دـوـنـ  
الـقـصـيـدةـ إـلـىـ وـقـتـنـاـ هـذـاـ وـعـنـدـ الـكـثـيرـيـنـ .ـ

فلمت إن العرب شغفوا بالشعر وأولوه المكان الأول من اهتمامهم . ولم تكن كثرة الشعراء لديهم لتنقصه من قيمته لديهم . بل إنك لترى الأمر على النقيض من ذلك . فقد كانت كثرة الشعراء سبباً في تفضيله بينهم . وانشغل الجميع به ملوكاً وسوقاً . علماء وجهلاء أشرافاً وصغاراً . بل لقد كان من الأوصوص وقطع الطريق من يستغل به ويقوله .

ولا جرم في أمة كالأمة العربية مع ما اشتهر به أهلها من الفصاحة أن يكونوا كلهم شعراء ما دام الشعر هو نظم ما يتكلمون به . والذي يهمنا هنا أن نعرف نصيب المقد في أمة عظيمة جل أهلها شعراء .

لقد كان شغف العرب ب النقد الشعر يعادل حبهم له . فأنتم لا تكاد ترى مجلساً للشعر يخلو منه . . . كانوا مختلفون في البيت فيريح بعضهم إلى حجة أو ثقة فيذبحون ببابه ، فيسألونه عنه ثم يعودون . بل لقد كان للشعراء أسواق مشهورة ينشد فيها الشعر وينقد . فترى القوم فيها يتبارون ويقلدون ثم يعودون ومنهم الظافر والمخدول . وكانت ترفع قبة لنابعة بنى ذبيان في سوق عكاظ يجلس فيها ويمر به الشعراء معهم قصائد هم ينقدوها

واحدة فواحدة ، ويبدي رأيه فيها . والنابغة يعد من أكابر نقاد الشعر في الجاهلية كما هو من أكابر شعرائها . ومن رأيه فيه الكذب والغلو . وينسبون إليه النقد المعروف لبيت حسان : لنا الجفنات الغر يامعن في الضحى . وينسبه بعضهم إلى الخنساء وهو إلى النابغة أقرب .

وكان من البدھي في مثل هذه الحال أن يھم النقاد بترتيب الشعراء ومعرفة درجاتهم وأبھم أشعار العرب . فقد كان هذامن أكابرھم . وهم وإن كانوا يختلفون في هذا كثيراً إلا أن أكثيرهم على تقديم أمرىء القيس . وأخبر عيسى بن يزيد عن ابن عباس رضي الله عنھما قال . قال لى عمر انشدنى لأشعر شعراً لكم قلت من هو يا أمير المؤمنين . قال زهير وكان كذلك . قال كان لا يعاظل بين السکلام ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه . ويقول بعضهم بتفضیل الأعشى وبعضهم بتفضیل غيره . على أنه إذا أردت أن تحصر آراءهم في ذلك أعياك الأمر وعرفت أن لكل شاعر منهم من يفضله ويقدمه على الجميع ومن لطيف ما يروى أن مروان بن حفص سمع يوماً جمعاً من الشعراء . فكان يخرج أحدهم فيقول هذا أشعر الناس ، ويسمع الآخر فيقول

هذا أشعر الناس . إلى أن كثُر ذلك منه فقال الناس أشعر الناس  
وجاء النقد فيما بعد فرتوا الشعراء إلى طبقات وتكلموا  
عن شعراء كل طبقة شاعرًا ، وما يمتاز به كل واحد منهم  
وألفوا في ذلك الكتب والرسالات شخص بالذكى منها كتاب طبقات  
الشعراء . ويعرضون في عشر طبقات ، يتدلون بأصحاب  
المعلمات ثم يتكلم بطريقة موجزة عن كل منهم . وهذا فرع  
من النقد لم يققدم بأكثر من ذكر القليل المجمل عن الشاعر في  
عبارات مسجوعة . ينقصها الوزن لتكون كافية ابن مالك .  
ولم يعرف العرب في هذا الباب تفصيل حياة الشاعر ومزاجه  
والوسط الذى يعيش فيه . والحوادث التى اصطدمت بحياته .  
وتأثير كل ذلك فى نفسه وبيان الصلة بين الشاعر وشعره ،  
وهم على ما هو مشهود عنهم من حفظ الأنساب والتواريخ .  
وهذا نوع من النقد يبين العلة والمعلول في الشعر . بطريقة منطقية  
دقيقة يقصد بها فهم الشاعر وإنصافه .

نعم لم يعرف العرب الأقدمون هذا النقد وإنك لترى أحدهم  
ينقد الشعر بما فى نفسه . ويقيمه بما يراه وليس له شأن بالموضوع  
في ذاته وفي ذات صاحبه . وكثيراً ما عابوا شاعراً لأمرى القيس

وابي نواس وغيره لموضوعه وليس بجودته أو رداهته . فحب النساء والخمر يعاف الزهد والحكم ، ومحبها يعاف القول في النساء والخمر . وهذه طريقة في النقد تجعل كل شعر يمدح أو يذم وفق أمزجة المقاد وأخلاقهم . والأمزجة تتعدد والأخلاق تختلف فيصبح كل شعر حسناً وقيحاً في آن واحد .

وقد خالف ذلك بعض النقاد منهم قدامة بن جعفر قال :  
وليس خاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه  
كما لا يعييّب جودة النجارة عيب في الخشب منلاً كرداهته في ذاته  
ومما أتجه إليه النقاد مراعاة مواقف الشاعر وذوقه فيما  
وموافقة كلامه المقتضى والمناسبات . وكان للعرب بذلك  
اهتمام . ولهن فيه بدبيه وذوق . ويروى عن عبد الملك بن مروان  
أنه دخل عليه جرير ، بشدة قصيده التي يقول في مطلعها :

أتصحّو أم فؤادك غير صاح

فقال عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة

وعابوا على المتنبي قوله لكافور أول لقائه :

كفي بك داء أن ترى الموت مشفانياً      وحسب المنايا أن يكن أمانياً  
في مطلع قصيده المعروفة ، وإن كان الخطاب موجهاً

لنفسه لا إلى كافور و ما ياخذون به أبا نواس ، ويؤنونه عليه أن بعض بي بر مك بي دار استفرغ فيها مجده و انتقل إليها فصنع أبو نواس في ذلك الحين قصيدة يمدحه فيها ويقول في أولها : أربع البلى إن الخشوع لباد عليك وإنى لم أخذك ودادي

وختتمها بقوله :

سلام على الدنيا إذا ما فقدتني      بي بر مك من رأحين وغاد  
فتطير منها البرمي . واشئاز حتى كالح وظهرت الوجهة  
عليه . ثم قال نعيت إلينا أنفسنا يا أبا نواس . والكلام في ذلك  
كثير والشواهد عديدة

ولم يخل بعض النقاد من التعمت في نقد الشعر و مهاجمة  
الشعراء كما أرادوا . و لهم في الاحتياط على ذلك فنون . و يقع  
ذلك عادة مع المولدين . أما المتقدمون فقد كانوا يحتالون لهم  
عادة ل بكل ما يقع منهم ومن بعد الوسائل . ويرجع ذلك إلى  
تعظيمهم و تزبيهم عن كل نقص ، ووضعهم مكان المثل الأعلى  
من نظرهم . خلافا للمولدين الذين لا يريدون أن يعترفوا لهم  
بأحسان . ومن ظريف ما يروى عن اسحق بن ابراهيم الموصلي  
انه قال أنشدت الأصمى :

هل إلى نظرة إليك سبيل      فيبيل الصدا ويشقى الغليل  
إن ما قل منك يكثُر عندي      وكثير ممن تحب القليل  
فقال والله هذا الدجاج الخسر واني ... واته لمن تنشدني ؟  
فقلت إنهم لليتهمما ف قال لا جرم والله أن أثر التكلف فيهما ظاهر  
والشعر بعد عيوب ومحاسن جمعها المولدون ورتبوها بنظام  
محجب في ذاته بالغ غاية الدقة في موضوعه من حيث نظرتهم  
للشعر . ومن عيوبه غير ما قدمنا عيوب يختص بعضها بالوزن  
والقافية . قال يونس وهي أربعة : الزحاف والايطاه والا��فاء  
والأقواء ثم عيوب أخرى تختص بالشعر جاء قدامه على بعضها  
في كتابه نقد الشعر منها ماقوامه الأسلوب . كالخشوع والتذبذب  
والتعقيب والتعطيل ومنها ما يخص المعانى وهى فساد المقابلات  
والاستبعاد والتناقض وفساد التفسير .

أما السرقة فقد كانت من أكبر ما يرمى به الشعر عندهم  
اللهم إلا إذا كان الشاعر يتناول المعنى لغيره فيه ذبه ويزيد عليه  
أو يضمه في قالب أرق وأبلغ . فإن ذلك معتبر له . لا بل  
يصير إليه المعنى دون صاحبه .

وقد اختلفوا في سرقة النثر فبعضهم يقول أنها سرقة

والبعض يقول بخلاف ذلك والغالبية يعدون ما ورد في شعر المتتبى وأبى العتاهية من حكم اليونان سرقة عيبوها عليهمما . أما ابن رشيق في هذا فيؤيد المذهب الثاني ولا يرى شيئاً في ذلك قوله رسالة في سرقة الشعر بين فيها ذلك في مكانه منها هذه عيوب الشعر عند العرب أجملناها ليكون لدى القارئ فكرة عن النقد من كل ناحية . أما محسن الشعر عندهم فعكس ما ذكرناه وقد حصر قدامه ما يتعلق منها بالمعنى في سبعة أشياء قال وهذه الأشياء إذا اجتمعت في الشعر كان في غاية الجودة وهي كما ذكرها : صحة المقابلة ، صحة التقسيم صحة التفسير والتتميم ، المبالغة ، التكافؤ ، الالتفات . فأنت ترى أنها جميعاً لا علاقة لها بالمعنى المعروفة الآن إلا من حيث الصناعة وإذا كانت هذه نسأة النقد عند العرب فأنا لا انعدو الحقيقة إذا قلنا إن شاعرينا كانوا يتقدمان النقد ، ويسبقانه أشواطاً بعيدة . ويتبين ذلك من كلامنا في رأى المتقدمين في شعر البحترى وأبى تمام ، في الفصل التالي .

## رأى المتقدمين

### في شعر البحترى وأبو تمام

ييفا فما تقدم نشأة النقد عند العرب وطبيعة الناقدين عندهم.  
ويظهر مما أسلفنا أن طبيعة التأثر السريع كانت الأساس الأول  
للنقد ومن ثم اتجه الاعجاب إلى اللفظ الفصيح والصناعة الحسنة  
والبالغة في التشبيهات ونبأ ذوقهم عن شعر الروية . والناقد  
العربي يصد عما لا يفهمه لأول وهلة أو يحتاج في تفهمه إلى شيء  
من التبصّر . وقل أن ينظر إلى قصيدة تتعدى الفكرة فيها  
البيتين أو الثلاثة . وقد ييفا السبب في ذلك وعزوناه إلى الطبيعة  
العربية في نشأتها الأولى .

وليس معنى هذا أن العرب كانوا لا يفهمون الشعر . فهذا  
ما لا نقصده ولا نرمي إليه ، ولتكنهم كانوا يفهمونه على طريقتهم  
التي تتفق وطبيعتهم من تاحية وتلاؤم حياتهم من ناحية أخرى .  
وقد كان البحترى وأبو تمام مادة واسعة لانقاد الشعر ، وصيارة

الكلام أجيالاً متعاقبة . فظهور هذين الشاعرين في عصر واحد ،  
وأنصاراً أحدهما بالآخر وأخذه عنه ثم بروزه وتفوقة وارتفاع  
نجمه . جعل الكلام عن الشاعرين حديث كل متحدث عن  
الشعر والشعراء وقد وصف ابن الأثير أبو تمام والبحترى قال :

أما أبو تمام : فإنه رب معان وصيقل أذهان ، وقد شهد له  
بكل معنى مبتكر . لم يمش فيه على أثر . ولقد مارست من  
الشعر كل أول وأخير . ولم أقل ما أقوله إلا بعد التنقير . فلن  
حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراضي فكره برائضه ،  
أطاعتة أعنزة الكلام . وكان قوله في البلاغة مآقالت حدام .  
فأخذ مني في ذلك قوله حكيم . وتعلم فان فوق كل ذي علم عليم .  
واما البحترى : فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى ،  
ولقد حاز طرق الرقة والجزالة على الاطلاق ، فبينما يكون في  
شظف نجد ، إذ يتثبت بريف العراق . وسئل المتنى عنه وعن  
أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحترى .  
ولعمرى إنه أنسف في حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متابنة  
علميه ، فان البحترى أتى في شعره بالمعنى المحدود من الصخرة  
الصماء ، في اللفظ المصوغ من سلافة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام ،

مع قربه إلى الافهام . وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بالنواذر  
الغاليه ، ورقى في دينياجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وهذا كلام بجمل بسيط يوصح بعض المعلم البدائيه في تفهم  
الشاعرين . ولا يكفي لفهم أبي تمام أنه رب معان وصيقل أذهان .  
ولا يفهم البحترى بأنه أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة  
الصماء . في اللفظ المصور من سلافة الماء . وقد أغرب في تصوير  
المعانى هذا التصوير الجاف . وإن كنت لا أجد في شعر أبي عباده  
معنى يصح أن يقال فيه هذا الوصف . ولعله يقصد أن يقول  
ما قاله البحترى في محمد بن عبد الملك الزيات وعبر عنه أحسن  
تعبير حين قال .

ومعan لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرول ولبيد  
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنب ظلامة التعقييد  
وركبت اللفظ القريب فأدركتـ به غاية المراد البعيد  
واختصر أبو العلاء المعرى ديوان أبي تمام وشرحه وسماه ،  
ذكرى حبيب ، وديوان البحترى وسماه ، عبث الوليد ، وديوان  
المتنبى وسماه معجز أحمد وتكلام على غريب أشعارهم ومعانيها  
ومآخذهم من غيرهم . وما أخذ عليهم ، وتولى الانتصار لهم

والنقد في بعض المواقف عليهم . والتوجيه في بعض الأماكن  
بحكمتهم ، وليس بين أيدينا من هذه الكتب الثلاثة غير كتاب  
واحد هو كتاب عبد الوليد وقد اختلفوا في تسمية الكتاب  
بهذا الاسم فقال البعض إنه يرمي إلى قول البحترى .

إن الهموم طويقنى ونشرتني      عبد الوليد بمحاجب القرطاس  
وبعدهم قال إن المجرى قد اشتهر في شعره بمعابدة البحترى  
ومن ذلك قوله في سقط الزند :

ذم الوليد ولم أذمه جواركم      فقال ما أنسفت ببغداد حوشيتنا  
فأن لقيت ولیدا والنوى قد فد      يوم القيمة لم أعدمه تبكيتني  
مشيراً إلى قول البحترى :

ما أنسفت ببغداد حين فوحشت      بنزلها وهي محل الآنس  
ومنه قوله :

وقال الوليد النبع ليس بهنور      وأخطا سرب الوحش من ثمر النبع  
مشيراً إلى قول البحترى :

وعيرتني سجال العدم جاهلة      والنبع عريان ما في عوده ثمر  
وليس في هذا الكتاب شيء من جيد البحترى حتى أن  
المؤلف قد اختار بيتين اثنين من سيلفيته في وصف ايوان كسرى

مما يدل على أن المعرى قد اقتصر ، في كتابه على غريب البحترى  
وسماه « عبث الوليد »

ومما جاء في هذا الكتاب : في القصيدة التي أولها :

زعم الغراب منبيء الأنباء  
وفيها يقول « أى البحترى » :

فلمعلمى ألق الردى فيربحنى      عمما قليل من جوى البرحاء  
قال المعرى في كلامهم لعلىٰ وبها جاء القرآن . وربما جاء  
لعلنى وهذا البيت ينشد على وجهين :

ذرينى جواداً مات هزا لعلنى      أرى ما ترين أو بخيلاً مخلداً  
ومنهم من ينشد : لأنى وهو بمعنى لعلنى  
وأطال في تلك الرسوم بكافى

قال المعرى كانت السكاف في تلك مفتوحة وقد حكت وكسرت  
والكسر غلط في هذا الموضع . لأنها إنما تكسر إذا كان الخطاب  
مؤنث . وقد دل ما بعد هذا البيت وقبله على أنه يخاطب مذكرة  
وقد ادعى بعضهم أن كاف (ذلك) تعرّب في الضرورات وينشد  
وانما الها لك والتالك مدفع صافت به المسالك  
كيف يكون النوك إلا ذلك

وهذا لا يقبل ممن حكاه إذا كان تسكين القافية لا مؤنة  
فيه ولا اضطراراً؛ ولو صحي أن كاف ذلك ترفع لجاز أن تخفض  
كاف تلك في بيت أبي عبادة .

وقال : في البيت الآتي من سينية البحترى :

مغلق بابه على جبل القبق      الى دارت خلاط ومكس  
القبق موضع معروف : وهى كلمة معربة بالألف واللام .  
ونظيرها فى كلام العرب قليل إذ كانوا يستقلون أن تكون  
الفاء واللام من جنس واحد والعين من جنس آخر والأوسط  
ساكن ويستخفون أن تكون العين واللام متجانسين فيكثر فى  
كلامهم مثل مد وصد ، ويقل نحو عدد وقبق . فما كان بعض  
الناس يقول الفرق فى هذا البيت وهو تصحيف . ويذكرون أن  
القبق مراد به جبل قاف وليس معنى البيت على ذلك . وإنما خلاط  
ومكس قريتان من جبل القبق فلذلك جمع يلمن .

هذا نوع من تعليق المجرى وتحقيقه فى شعر البحترى وهو  
أقرب إلى شرح المتون الفقهية ، منه إلى بيان النواحي الشعرية .  
وعرض لنقد أبي تمام أبو الحسن على بن عبد العزيز الشهير

بالقاضى الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٦ فى كتاب الوساطة بين  
المتنبى وخصومه .

وقد بدأ هذا الكتاب بمقيدة في ذكر أغلاط الجاهلين  
معتذرًا بها عن أغلاط المتنبى . نروى منها قول امرىء القيس :  
يا راكبًا بلغ إخواننا من كان من كندة أو وائل  
ف Finchib بلغ و قوله :

فال يوم أشرب غير مستحقب إنما من الله ولا وائل  
فسكن اشرب و قوله :

لها متذنان خطانا كما أكب على ساعديه التمر  
فاصطدم النون من خطانا لغير إضافة ظاهرة .

وقول لبييد :

تراك أمسكنا إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها  
فسكن يرتبط وقول طرفة « قد رفع الفخ فإذا تحذرى »  
خذف النون . وقول الأسدى :

كنا نرقعها وقد مزقت والتسعم الخرق على الراقع  
فسكن ترفعها وقول امرىء القيس :

كأن ثييرًا من عرانيين وبله كبير أنس في بجاد مزمول

نخفض مزمل وهو وصف كبير  
ومما ذكره من أغاليطهم في المعانى قول امرىء القيس  
وأركب في الروع خيفاته كسا وجهها شعر منتشر  
قال وهذا عيب في الخيل . وقول زهير :

يخرجون من شربات ما وها ضحل

على الجذوع يخفن الفم والفرقا  
قال والضفادع لا تخاف شيئاً وقول الآخر :  
برية لم تأكل المرقما ولم تدق من البقول الفستقا  
فعمل الفستق بقللا

وعرج على شعر أبي تمام فذكر المتكلف فيه والمعقد  
والمتفاوت ونعي عليه فساد المعنى في بعض الأشعار ومن قوله في  
ذلك « وقصد الأغراض الخفية ، فاحتمل فيها كل غث تقيل .  
وأرصل لها الأفكار بكل سبيل . فصار هذا الجنس من شعره  
إذا قرع السمع لم يصل الى القلب ، إلا بعد إتعاب الفكر وكد  
الخطاطر . والحمل على القرحة . فإذا ظفر به فلن بعد العناء والمشقة .  
وحين حسره الأعياه وأوهن قوته الكلال . وتلك حالة لا تهش  
فيها النفس للاستماع لحسن ، والالتذاذ بمستظرف . وهذه جريرة

التكلف واست أقول هذا غضباً من أبي قحافة ولا نهجهننا لشعره،  
ولا عصبية عليه لغيره . فكيف وأنا أدین بتفضيله وتقديره  
وأتحل مواليه وتعظيمه ، وأراه قبلة أصحاب المعانی وقدوة  
أهل البدیع » ومن الآیات المتكلفة التي أخذها على أبي قحافة قوله  
جهمية الأوصاف إلا أنها قد لقبوها جوهر الأشياء

والبيت من قصيدة التي يمدح فيها يحيى بن ثابت . وقد ورد  
في آیات يصف فيها الحمر قال

قتلت كذلك قدرة الضعفاء وضعيفه فإذا أصابت فرصة  
جهمية الأوصاف إلا أنهم وكأن بهم حمّا وهمجة كأنها  
أودرة بيضاء بكرأ طبقت نار ونور قيـدا بواء  
يمكـن الزجاجة لونها فـكـأنـها في الكف قـائـمة بـغـير إـنـاء  
والأیات من أبدع الشعر في وصف الحمر ، وليس من  
الصواب في النقد أن يذكر هذا البيت على انفراد وتهمل  
الأیات الأخرى وهي كالبنيان المرصوص يشد بعضه ببعضه  
وأخذ عليه قوله :

ألم يقنعك فيه الهجر حتى بكلت لقبه هجرا بـيـنـ

قال فهل رأيت أغنت من بكلمت في بياط نسيب  
وبكلمت هنا بمعنى خلطات ، وهي ليست من الكلمات  
الغنة إذا وضعت معناها وكانت من الألفاظ المعروفة . وإن كنا  
نستحسن أن تخل محلها مزجت لتكون الأبيات في مستوى  
واحد من البساطة .

وأخذ عليه قوله :

أطلال الرسوم لطال ما قد  
بها شغلت دبابيق البهاء  
لنا أيام لم تدم الليالي  
فأضحي البين لا يرضي لطرف  
لقد طمع الفراق على ابن صبرى  
فأثكله جلايات العزاء

وَمَا ذُكِرَ فِي مَعْرِضِ السَّخِيفِ مِنْ شِعْرٍ قَوْلَهُ :

نم وان لم آنم گزای کراک شاهدی الدمع آن ذاک کذاک  
 طال ضری نفسمی فداوآک بل من آنا حتی تکون نفسی فداک  
 صناق صدری بل کیف اسطیع آن اص

بر إذا كان ناظري لا يراك  
ذهبت مقلتاي بالدم والدمع إلى النار إذا نجت مقلتك

وقد قرأتنا هذه الأبيات في ديوان أبي تمام على خلاف  
مارواه الجرجاني وهي نقلًا عن ديوانه في باب الغزل :  
نم فأن لم أتم كراي كراك شاهدى منك أن ذاك كذلك  
طال صبرى تفديك نفسى وقلت نفسى مثلى عن أن تكون فداك  
في سبيل الهوى فؤادى وما آه  
ذهبت مقلتاي بالدم والدمع  
لست أبكي ذهاب عينى لعينى  
غير أنى أبكي لأن لا أراك  
ولا يخفى الفرق بين الروايتين . والأبيات بدعة في بابها .  
ونقد كلمة الأيم في قوله :

زفت من المعطى زفاف الأيم  
حلت محل البكر من معطى وقد  
وشاركه في ذلك الأمد في كتاب الموازنة . قال الجرجاني  
جعل الأيم مقابلا للبكر في التقسيم والأيم قد تكون  
بكرا وإنما هي التي لازوج لها . يقال أمنت المرأة ثم وكذلك  
الرجل إذا مانت أمرأته . وإنما لأهل اللغة قولان أحدهما أن  
المرأة قد تكون أيما إذا لم يكن لها زوج وإن لم تكن نكحت  
قط . والثاني أنها لا تكون أيما إلا وقد نكحت ثم خلت بحالتها  
أو طلاق بكرا كانت أو غير بكرا بني عليها الزوج أو لم يبين .

فيتبين أن أبي تمام قد قابل بين البكر والأيم . وظاهر الخطاب يقتضي التغاير . وقد رد الجرجاني على من جمع بين أبي تمام والشافعى . في النقد وقد ذهب الشافعى في قول النبي صلى الله عليه وسلم . الأيم أحق بنفسها من وليهما والبكر تستأذن في نفسها إلى أن المراد بالأيم الثيب .

ونرى أن الأيم في بيت أبي تمام قد حدد معناها بوضعيه ا مقابلة للبكر في الشطر الأول . وإذا كانت شيئا آخر غير البكر أو أنها لا تحمل معنى البكر على إطلاقه فالمقابلة جائزه ومقبولة من الشاعر إلى حد ما .

وإذا كان الجرجاني يقول في صدد الدفاع عن المتنبي :  
وليس من شرائط النصفة ، أن تتعى على أبي الطيب بيتا  
شد ، وكلمة ندرت ، وقصيدة لم يسعده فيها طبعه ، ولفظة قصرت  
عنها عنایته ، وتنسى محسنه ، وقد ملأت الأسماع ، وروائعه  
وقد بهرت ... الخ ، فأنا حریون أن نقول نفس هذا الكلام  
في أبي تمام .

ولعل خير من عرض لكتابه في هذا الباب هو أبو القاسم  
الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي في كتابه الموازنة بين أبي تمام

والباحثى . ويترجح الأمدى فى المفاضلة بين الشاعرين . وهو موضوع كتابه وإن كان يصل بهـذا الترجح إلى رأى سديد ويضع أساساً جديداً لم يسبقـه اليـها أحد فيقول : إن كـنت أـدام اللـه سـلامـتـك مـن يـفضل سـهل الـكلـام وـقـرـيبـه وـيـؤـثـر صـحة السـبـك وـحـسـن الـعـبـارـة وـحـلـو الـلـفـظ وـكـثـرة الـمـاء وـالـرـونـق فـالـبـاحـثـى أـشـعـرـكـعـنـدـكـ ضـرـورـة . وـإـن كـنـت تـهـبـيلـكـ إـلـى الصـنـعـة وـالـعـانـى الـغـامـضـة ، الـتـى تـسـتـخـرـجـ بالـغـوـصـ وـالـفـكـرـة وـلـاـنـلوـى عـلـىـغـيرـذـلـكـ . فـأـبـوـتـامـعـنـدـكـ أـشـعـرـ لـاـحـمـالـة . فـأـمـاـأـنـا فـلـمـسـتـ أـنـصـحـ بـتـهـضـيـلـ أحـدـهـا عـلـىـالـآخـرـ . وـالـكـنـى أـقـارـنـ بـيـنـ قـصـيـدـتـيـنـ مـنـ شـعـرـهـا إـذـاـفـيـالـوزـنـ وـالـقـافـيـةـ وـإـعـرـابـ الـقـافـيـةـ وـبـيـنـ معـنـىـ وـمـعـنـىـ فـأـقـولـ أـيـهـماـ أـشـعـرـ فـتـلـكـ الـقـصـيـدـةـ وـفـيـذـلـكـ المعـنـىـ . ثـمـ اـحـكـمـ أـنـتـ حـيـثـيـذـ عـلـىـ جـمـلـةـ مـالـكـلـ وـاـحـدـ مـنـهـمـ إـذـاـخـدـتـ عـلـمـاـ بـالـجـيـدـ وـالـرـدـيـءـ .

وـالـذـى نـلـاحـظـهـ عـلـىـ هـذـاـ القـوـلـ أـنـهـ لاـيـقـبـلـ عـلـىـ إـطـلاـقـهـ ، إـذـأـنـ الصـنـعـةـ وـالـعـانـىـ الـغـامـضـةـ الـتـىـ تـسـتـخـرـجـ بالـغـوـصـ وـالـتـفـكـيرـ ، ليـسـتـ كـلـ شـعـرـ أـبـىـ تـامـ وـإـلـاـ فـأـىـ غـمـوضـ فـيـ قـوـلـهـ :  
لـهـفـ قـلـىـ عـلـىـ لـاـبـلـ عـلـيـكـاـ أـنـ تـجـوـلـ عـيـونـ فـيـ خـدـيـكـاـ  
وـعـزـيزـ عـلـىـ أـنـ تـجـتـنـىـ الـأـبـصـ سـارـ زـهـرـ الـرـبـيعـ مـنـ وـجـنـتـيـكـاـ

أنت وقف على القلوب بما أضنه  
يت تهدى وهن وقف عليكما  
لا قضى الله لى وصالك أن كنه  
ت أراني أشتقاك الا اليكما  
جرحتك العيون باللحظ حتى  
صرت أخشى عليك من عينيكما  
وهي أبيات تسيل رقة وحسنا بل وأى غموض فيها أوردنا  
له من الشعر فيما تقدم من هذا الكتاب . وأى غموض في أبياته  
الرأئية في وصف الربيع وأى غموض في وصف القلم في قصيدهاته  
التي مدح بها محمد بن عبد الملك الزيارات . على أننا لا نتفق أن أثر  
الصناعة والتتكلف ظاهر في أبيات متفرقة في ديوانه . والقول  
فيها هو ما قاله القاضي الجرجاني في سقطات المتنبي كما يبينا آنفا  
ويستطرد الأمدى مما تقدم إلى حوار بديع يبين فيه احتجاج  
كل فريق من أصحاب الشاعرين على الفريق الآخر وما ينعتاه  
بعض على بعض ونحن نذكر طرفا من هذا الحوار لطراحته من  
ناحية وجملته خلاصة بلية — لا غنى عن ذكرها هنا —  
لاحتجاج الفريقين :

قال صاحب أبي تمام : كيف يجوز لقائل أن يقول إن البعض  
أشعر وعن أبي تمام أخذ ، وعلى حذوه احتذ ، ومن معانيه  
استنقى . وباراه حتى قيل الطائى الأكبر والطائى الأصغر واعترف

البحترى بأن جيد أبي تمام خير من جيده . على كثرة جيد أبي تمام فهو بهذه الخصال أن يكون أشعر من البحترى أولى من أن يكون البحترى أشعر منه .

قال صاحب البحترى : أما الصحبة فاصحبه ولا تلذ له ولا روى ذلك أحد عنه ، ولا أرى فقط أنه يحتاج إليه ، ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند أبي سعيد محمد ابن يوسف التغري . وقد دخل إليه البحترى بقصيده التي أولها :

«أفاق صب من هوى فأفيقا» . وأبو تمام حاضر . فلما أنشدها علق أبو تمام أبياتاً كثيرة منها فلما فرغ من الانشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال إليها الأمير ما ظننت أن أحدا يقدم على أن يسرق شعري ، وينشدك بحضورك حتى اليوم ثم اندفع لأنشدهما حفظه حتى أتي على أبيات كثيرة<sup>(١)</sup> من القصيدة فبهرت البحترى ورأى أبو تمام الانسكار في وجهه أبي سعيد محمد بن يوسف فبيئت قال له أيها الأمير والله ما الشعر إلا له . وإنك أحسن فيه الاحسان كله . وأقبل يقرظه ويصف معانيه ويدرك محاسنه ثم جعل يفخر باليمين . وانهم ينبعو الشعور . ولم يقنع من محمد

---

(١) رويانا خبر ذلك مفصلاً في الفصل الأول .

ابن يوسف حتى أضعف له الجائزة . فهذا الخبر الشنيع يبطل ما ادعتم ؛ فمن كان يقول مثل هذه القصيدة التي هي من عين شعره وفاخر كلامه قبل أن يعرف أبو تمام ؛ إلا أن يكون بالخبر، يستغنى عن أن يصحبه ، أو يتلهمذ له أو لغيره في الشعر . إلا أنه مع هذا لا يذكر أن يكون قد استعار بعض معانٍ أبي تمام لقرب البلدين ، وكثرة ما كان يطرق سمع البحترى من شعر أبي تمام . فيتعلق شيئاً من معانيه ، معتمداً على الأخذ أو غير معتمد . وليس ذلك بمانع من أن يكون البحترى أشعر منه . فهذا كثير قد أخذ من جميل وتأمذله واستقى من معانيه فهارأينا أن أحدهما أطلق على كثير أن جميلاً أشعر منه . بل هو عند أهل العلم بالشعر والرواية أشعر من جميل ... فقد علمتم الآن أن هذه حالة لا توجب لكم تفضيل أبي تمام على البحترى من أجل أنه أخذ منه شيئاً . وأن البحترى يغلو بتوسيط ولا يسقط . ومن لا يسقط ولا يسفسق أفضل في الشعر . وقد اجتنمنا نحن وأنت على أن أبي تمام يعلو علوًّا حسناً وينحط انحطاطاً فيبيحه وشعر البحترى شديد الاستواء والمستوى الشعر أولى بالتقدمة من المختلف صحبيحا فهو البحترى لا عليه .

وأما قول البحترى جيده خير من جيدى وردى خير من  
ردىه ، فهذا خبر ان كان ممن يسقط ويسفى ، والذى نرويه عن  
أبي على محمد بن العلاء السجستانى وكان صديق البحترى أنه قال :  
سئل البحترى عن نفسه وعن أبي تمام فقال هو يغوص على  
المعاني . وأنا أقوم بعمود الشعر . وهذا الخبر هو الذى يعرفه  
الشاميون . وسمعت أبا على محمد بن العلاء أيضا يقول كان البحترى  
عند نفسه أشعر من أبي تمام

قال صاحب أبي تمام : فأبو تمام افرد مذهب اخرين وصار  
فيه أولا وإماما متبعا وشهرا به حتى قيل لهذا مذهب أبي تمام  
وطريقة أبي تمام . وسلك الناس نهجه واقتفوا أثره وهذه فضيلة  
عرى عن مثلا البحترى :

قال صاحب البحترى : ليس الأمر لاختراعه لهذا المذهب  
على ما وصفته ولا هو بأول فيه ولا سابق إليه ، بل سلك في ذلك  
سبيل مسلم . واحتدى حذوه ، وأف्रط وأسرف ، وزال عن النهج  
المعروف ، والسنن المأثور على أن مسلماً أيضاً غير مبتدع لهذا  
المذهب ولا هو أول فيه . ولكن رأى هذه الأنواع التي وقع  
عليها اسم البديع وهي الاستعارة والطبقاق والتجنيس منشورة

متفرقة في أشعار المتقدمين. فقصدها وأكثر في شعره منها  
وهي في كتاب الله عز وجل موجودة قال الله تعالى « واستعمل  
الرأس شيئاً » وقال تبارك وتعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه  
النهار » وقال « واحفظ لها جناح الذل من الرحمة » فهذه من  
الاستعارة التي في القرآن وقال امرؤ القيدس :

فقالت له لما تطعى بصلبه وأردف أعيجازاً وناء بكلكل  
فعمل الليل يقمعي وجعل له أرداها وكلا كلا . وقال زهير:  
صيحا القلب عن ليلي وأقصر باطله  
وعرى أفراس الصبا ورواحله  
ف يجعل للصبا أفراساً ورواحل و قال ليبيد :

وغداة ريح قد كشفت وقرة      إذ أصبحت بين الشمال زمامها  
فجعل للغداة يدا وللشمال زماما... فقد سقط الآذن احتجاجكم  
باختراع أبي تمام لهذا المذهب ، وسبقه إليه ، وصار استكثاره  
منه وإفراطه فيه من أعظم ذنبه ، وأكبر عيوبه . وحصل  
للبحيرى أنه ما فارق عمود الشعر وطريقته المعهودة . مع ما تجده  
كثيرا في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، وانفرد  
بحسن العبارة وحلوة الألفاظ ، وصحة المعانى . حيث وقع

الاجماع على استحسان شعره واستجاداته . وروى شعره واستجاداته  
سائر الرواية على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم فلن نفق على الناس  
جميعاً أولى بالفضيلة وأحق بالتقدم .

قال صاحب أبي قام إنما أعرض عن شعر أبي قام من لم  
يفهمه لدقة معانيه ، وقصور فهمه عنه . وفيهم العلامة والمقاد في  
علم الشعر . وإذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من  
طعن بعدها عليه .

قال صاحب البحترى : إن ابن الأعرابى وأحمد بن يحيى  
الشيبانى وقبلهما دعبل بن الخزاعى قد كانوا علماء بالشعر ، وكلام  
العرب وقد عالمتم مذاهبهم فى أبي قام واذراءهم بشعره ، وطعن  
دعبل عليه . وقولهم إن ثلث شعره محال وثلثه مشروق وثلثه  
صالح وروى عن دعبل أنه قال ما جعله الله من الشعراء بل شعره  
بالخطب والكلام المنشور أشبه منه بالشعر . ولم يدخله فى كتابه  
المؤلف فى الشعراء ، وقال ابن الأعرابى فى شعر أبي قام ان كان  
هذا شعر اف كلام العرب باطل .

قال صاحب أبي قام : فقد بطل احتجاجكم بالعلماء  
وتفضيلكم لشعره عليه لأن دعبرا كان يشناً أبا قاماً ومحسداً ،

وذلك مشهور معلوم منه فلا يقبل قول شاعر . وأما ابن الأعرابي فكان شديد التعصب عليه ، لغراية مذهبة ، ولأنه كان يرد عليه من معانيه مالا يفهمه ولا يعلمه . فكان إذا سئل عن شيء منها يأنيف أن يقول لا أدرى . فيعدل إلى الطعن عليه والدليل على ذلك . أنه أنسد يوماً بياناً من شعره وهو لا يعلم قائلها فاستحسنها وأمر بكتابتها فلما عرف أنه قائلها قال خرقوه . وكان ابن الأعرابي على علمه وتقديره قد حمل نفسه هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر فما نكرون أيضاً أن تكون حال سائر من ذكر نموه مثل حاله .

قال صاحب البحترى : لاعيب على ابن الأعرابي في طعنه على شاعر عدل في شعره عن مذاهب العرب في الاستعارات البعيدة المخرجه للكلام إلى الخطأ والاحالة والعيب في ذلك يتحقق أبا تمام إذ عدل عن الحجارة إلى طريقة يجهلها ابن الأعرابي . وأمثاله من المضططعين بالسلبية العربية ....

صاحب أبي تمام : فقد عالمتم وسمعتم الرواية وكثيراً من العلماء بالشعر يقولون : جيد أبي تمام لا يتعلق به جيد أمثاله ، وإذا كان جيده بهذه المكانة . وكان من الممكن إغفال رديته .

واطراحه كأنه لم يقله . فلا يبقى ريب أنه أشعر شعراء عصره  
والبحترى واحد منهم .

صاحب البحترى : إنما صار جيد أبي تمام موصوفا ، لأنه  
يأتى في تضاعيف الردىء الساقط فيجيء رائقا لشدة مبaitته ما يليه  
صاحب أبي تمام : فتتذكرون كثرة ما أخذه البحترى من  
أبي تمام وإغراقه في الاستعارة من معانيه ، فأيمما أولى بالتقدمه  
المستعير أو المستعار منه .

صاحب البحترى : أما ادعاؤكم كثرة الأخذ منه . فقد قلنا  
إنه غير منكر أن يكون أخذ منه من كثرة ما كان يرد على  
سمع البحترى من شعر أبي تمام ، ولكن ليس كما ادعتم وادعاه .  
أبو الضياء بشر بن ثعيم لأنه ذكر ما يشتراك الناس فيه وتجري  
طبع الشعرا عليه بفعله مسروقا ....

\* \* \*

وإذا كان هذا الحوار لم يبين لنا شيئا عن شخصية كل  
من الشاعرين وأغراض الشعر عند كل منهما . فإنه يقرب إلى  
الذهن صورة من صور الاختلاف الذى نشب بين النقاد في  
المقارنة بينهما فأنهما وإن تشابهما في بعض المعانى الجزئية ،

يختلفان في الغرض والمزاج ويبتعدان في المذهب الشعري  
كل الابتعاد.

ويخرج الأمدى بعد هذا الخوار إلى ذكر مساوى الشاعرين  
ثم إلى ذكر محسنهم ويختتم كتابه بالموازنة بينهما.

أما المساوى فنها ما يتعلق بالسرقات . ومنها ما يتعلق  
بالمعنى . ومنها ما ينصرف إلى الوزن ومنها ما ينصرف إلى اللفظ  
والسرقة من أهم أبواب النقد عند العرب . وقد الف فيها ابن  
رشيق صاحب العمدة كتابه الذي أشرنا إليه في الفصل السابق  
وتتبين منه أنواعها وأقسامها ، وما يعود منها في باب السرقة  
ومالا يعد في ذلك . ويدرك الأمدى من السرقات ما وجده في  
كتب الناس ثم ما وجده بنفسه ويقول في معرض الكلام عن  
أبي تمام أن الذي خفي من سرقاته أكثر مما قام ويبدا هذه  
السرقات بقول الكلمة :

ولا تكثروا فيها الجاج فأنه حمالسيف ما قال ابن دارة أجمعوا  
قال أخذه الطائفي فقال «السيف أصدق أنباء من الكتب»  
ونسبة السرقة إلى أبي تمام في هذا المعنى حيف في النقد، وضعف  
في التبصر . إذ أن أباً تم ، إنما بدأ قصيده في فتح عمورية بهذا

القول . لأن القول المناسب لقتضى الحال . ولا حاجة به إلى النظر إلى بيت الكميّت على الأطلاق . وذلك أن المنجمين كانوا قد أذاعوا بأن المعتصم لا يفتح عموريّة . وراسه الروم : إنما نجد في كتبنا أن مدینتنا هذه لا تفتح إلا في وقت إدراك التين والعنب وبيننا وبين ذلك الوقت شهور . ينبعك من المقام فيهما البرد والنارج . فأبي أن ينصرف وأكب عليهما حتى فتحها وأبطل ما قالوه فنطق الحادث قد ظهر على لسان أبي تمام . ولا يعد هذا من السرقة في شيء . ولا أدرى لماذا أغفل الآمدي الشطر الثاني وهو قوله ، في حده الحد بين اللهو واللعب ، والشطر الثاني متم للأول . والبيت هو الوحدة في الشعر العربي لاشطر . والشاعر في الشطر الثاني يزيد في المعنى ويوسّعه ويبرزه . وقد استطرد أبو تمام من هذا البيت إلى أبيات أخرى كالمتعلقة به مفسر له متمم لما جاء فيه . فذكر أقوال المنجمين وكتب الروم . وكذب ما جاء فيها ووصف انتصار المعتصم . فالفكرة متسلسلة من البيت الأول متصلة بما يليه من الأبيات . وكلها معان وصور لا توجد في بيت الكميّت ، ولأنه ظلا من الشبهة على بيت أبي تمام .

قال الأَمْدَى . وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي صَفَةِ الْخَمْرِ :

قتلـت وـما جـلـها المـدـير وـلم يـتـدـ فـأـذـا بـه قـد صـمـيرـة قـتـيـلاـ  
أـخـذـه الطـائـيـ فـأـحـسـنـ الـأـخـذـ فـقـالـ :

إذا اليد نالتها بوتر توترت على صنفها ثم استقامت من الرجل  
وإن كان قد أخذها من ديك الجن فلا إحسان له ، لأنه  
أتي بالمعنى بعينه قال ديك الجن :

تظل بأيدينا تقعقع روحها وتأخذ من أقدامنا الراح ثارها  
ولا شك أن المعنى في بيت أبي تمام هو نفس المعنى في بيت  
ديك الجن ، وإن كان في رأيي أنه يختلف عن قول مسلم بن الوليد  
ولكن الأمدی يتخرج هنا في الاتهام . فيقول . وليس  
ينبغي أن يقطع على أيهما أخذ من صاحبه لأنهما كانا في عصر  
واحد يقصد ديك الجن وأبا تمام .

قال الْأَمْدِيُّ ، وَقَالَ الْأَعْشَى :

**أخذ الطائفي المعنى والصفة فقال :** **فقد الشباب وقد يصلن الأمراء** **وأرى الغوانى لا يواصلن الأمراء**

**أحلى الرجال من النساء مواقعاً** من كان أشبههم بهن خلوداً  
**وزهد النساء فيمن فقد الشباب معنى مكرور، ولا يحتاج**

النظر فيه إلى سرقة . قال امرؤ القيس :

أراهن لا يحبين من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوما

ولعل الأمد قصد إلى السرقة في قول الأعشى : وقد يصلن  
الأمردا وقول أبي تمام . من كان أشبههم بهن خدوا . وإذا  
عرفنا أن قد في بيت الأعشى للتقليل تبين لنا أن المعنى جد  
مختلف في البيتين . وفي رأينا أن البيت الأول أصح . والمرأة  
لاتصبو إلى من كان يشبهها من الرجال .

وباب السرقات كبير يستوعب أكثر من نصف الكتاب .  
ومن هذه السرقات ما يعزى إلى البحترى ولست أرى الأمر فيها  
يُستدعي زيادة في الأيضاح عما ذكرناه . وقد ذكرنا القليل  
الذى يدل على الكثير وإن كنا لا نستبعد أن يقع في شعر البحترى  
وأبي تمام كلام مسبوق لكترة روایتهما من أشعار المتقدمين ،  
وتوارد الخواطر . وما من بيت اتهمها بسرقتها إلا ولهما خير منه  
وقد أورد الأمد أبياتا رواها دعبل الخزاعى . وادعى أن  
أبا تمام سرقها في قصيده المشهورة في رثاء ابن حميد الطوسى  
التي يقول في مطلعها :

كذا فليجعل الخطيب وليفدح الأمر  
وليس لعين لم يغض ماؤها عن  
و دعبل مطعون في روايته هذه لما بينه وبين أبي تمام  
من السكرابية .

قال رجل للحسن بن وهب إن أبي تمام سرق من رجل  
يقال له مكثف من ولد زهير بن أبي سالم وهو رجل من الجزيرة  
قصيده التي يقول فيها :

كأنْ بني نبهان يوم وفاته  
نجوم سماء خر من بينها البدر  
توفيت الآمال بعد محمد  
وأصبح في شغل عن السفر السفر

فقال الحسن بن وهب هذا دعبل حكاه وأشاعه في الناس .  
وقد كذب . وشعر مكثف عندي ثم أمر باخراجه . فأخرجت  
هذه القصيدة فلم يجد فيها الرجل شيئاً مما قال أبو تمام في قصيده  
ثم دخل رجل على الحسن بن وهب . فقال يا أبي على بلغنى أنك  
قلت في أبي تمام كيت وكيت . فهو سرق هذه القصيدة كلها  
وقيلنا قولك . أسرق شعره كله ؟ . فانخذل دعبل واستتحيا . فقال له

الحسن بن وهب إن الندم توبة . وهذا الرجل قد توفي ولعلك  
كنت تعادييه في الدنيا — أحسدا على حظه منها وقد مات الآن  
وحسبيك من شعره .

أما الأبيات التي أوردها الأمدي فهى :

أبعد أبي العباس يستعبد الدهر

وما بعده للدهر عتبى ولا عنز

ألا ليها الناعي ذفافة ذا الندى

تعسىت وشلت من أناملك العشر

ولا مطرت أرضنا سماء ولا جرت

نجوم ولا لذت لشاربها الخمر

كأن بني القمعان بعد وفاته

نجوم سماء خر من بينها البدار

توفيت الآمال بعد ذفافة

فأصبح في شغل عن السفر السفر

يعزون عن ثاو تعزى به العلا

ويبكى عليه البأس والمجد والشعر

وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مِنْ قَلْبِهِ  
وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى وَلِيُسْ لَهُ ذُخْرٌ  
وَأَعْجَبَ كَيْفَ يُورَدُ الْآمِدَى هَذِهِ الْأَيَّاتُ فِي بَابِ سَرْقَاتٍ  
أَبِي تَمَّامٍ عَلَى أَنَّهَا مِنْ كَلَامِ مَكْتَفٍ، وَالْإِنْتَهَى فِيهَا ظَاهِرٌ  
بِوَالْتَفَاقُوتِ بَيْنَهُ وَقَصَّةُ الْحَسْنَى بْنِ وَهْبٍ مَعْرُوفَةٌ ۖ ۱۱۰  
أَمَّا الْمَعْنَى فَقَدْ ذُكِرَ مِنْهَا فِي بَابِ الْمَعَايِبِ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ  
قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

رَقِيقُ حَوَاثِي الْحَلْمُ لَوْ أَنْ حَلَمْهُ بِكَفِيلِكَ مَامَارِيتُ فِي أَنَّهُ بَرَدٌ  
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : هَذَا الَّذِي أَضْحَكَ النَّاسَ مِنْهُ مِنْذَ سَمَعُوهُ  
إِلَى هَذَا الْوَقْتِ وَلَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا . وَقَالَ الْآمِدَى : وَالْخَطَأُ فِي هَذَا  
ظَاهِرٌ لِأَنِّي مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنْ شُعُرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَصَفَ  
الْحَلْمَ بِالْوَرْقَةِ . وَأَنَا يَوْصِفُ الْحَلْمَ بِالْعَظَمِ وَالْرَّجْحَانِ وَالثَّقْلِ وَالرِّزْانَةِ .  
وَنَحْوُ ذَلِكَ كَمَا قَالَ التَّابِعَةُ :

وَأَعْظَمُ أَحْلَامَيْ وَأَكْبَرُ سَيِّدَهُ  
وَأَفْضَلُ مَشْفُوعَ الْيَهُ وَشَافِعَهُ  
وَالْمَعْنَى فِي بَيْتِ أَبِي تَمَّامٍ جَدِيدٌ وَلَا شَكٌ . وَلَا يَعِيبُهُ أَنَّ  
شُعُرَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ لَمْ يَصْفُوا الْحَلْمَ بِالْوَرْقَةِ . فَأَبُو تَمَّامٍ وَلَا شَكٌ  
غَيْرُ مَقِيدٍ بِمَا قَالَهُ شُعُرَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ . وَرَقَةُ الْحَاشِيَّةِ هُنَا

دليل على لطف المدوح وسلامة مأخذته وعدوبية أخلاقه . أما تشبيه الحلم بالبرد فيأتي من لينه وإحكام نسجه وجمال ألوانه وكل هذه معان بدعة غابت عن الآمدى .

قال : وأنكر أبو العباس على أبي تمام قوله  
من الهيف لو أن الخلائل صورت  
لها وشحا جالت عليها الخلائل

ولم يذكّر موضع العيب فيه ولا أراه عالمه . وهذا الذي وصفه أبو تمام ضد ما نطق به العرب . وهو أقبح ما وصف به النساء . لأن من شأن الخلائق والبرين أن توصف بأنّها بعض في الأعضاء والسواعد وتضيق في الأسواق . فإذا جعل خلائقها وشحا تحول عليها فقد أخطأ الوصف . . . وإذا كان الخلائل وهو الخلقة المستديرة المعروفة قدرها وشاحا للمرأة فإنه يأخذ أعلى جسدها كلّه . وإذا كانت كذلك فقد مسحت إلى غاية القيمة والصغر . وصارت في هيئة الجعل وهذا نقد نوافق عليه الآمدى ولكننا نخالفه في قوله بعد هذا . ولا يستقبح نحو قول الشاعر :

من رأى مثل حبتي تشبيه البدر إذ بدا

يدخل اليوم خصرها ثم أرداها غدا  
فهذا هو التهريج المضحك الذى تستقبله فى الشعر ونعته  
من الزيف .

ومما أخذه على البحترى قوله : في وصف الفرس :

ذنب كما سحب الرداء يذب عن

عرف وعرف كالقناع المسيل

لأن ذنب الفرس اذا مس الأرض كان عيما . وهذا قد يكون  
صحيحا . وان كان في البيت من جمال الوصف ما يدعو إلى التجاوز  
وما الحيلة اذا كان الفرس الذى يصفه البحترى هذه صورته . وانما  
نظر إلى جماله لا إلى شيء آخر . وقد وصفه أجمل وصف .

وأخذ على البحترى قوله :

غريب السجايا ماتزال عقولنا

مدحثة في خلة من خلاله

اذا معاشر صانوا السماح تعسفت

به همة مجونة في ابتذاله

قال وقوله اذا معاشر صانوا السماح معنى ردى لأن البخيل  
ليس من أهل السماح فيكون له سماح يضلونه . وسواء عليه قال

صانوا السماح أو صانوا السخاء. أو صانوا الجود أو صانوا الكرم..  
فإن هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئاً وهو منهم بعيد فكيف  
يصدقونه فإن قيل إنما أقام السماح مقام الشيء الذي يسمح به وفي  
مجازات العرب ما هو أبعد من هذا . قيل البحترى لا يسوغ  
مثل هذا ولا يجوز له لأنه متأخر . ولا سماح أن ليست هنا  
ضرورة لأنه قد كان يمكنه أن يقول صانوا التراث مكان صانوا  
السماح .

والسماح في رأينا هو ما يسمح به من المال وقدأتى في البيت  
من قبيل المجاز . ولا أدرى كيف يكون المجاز وفقا على المتقدمين ،  
ولا يجوز للباحثي لأنه متاخر . فال المجاز من أبواب البلاغة .  
ويسونغ للمتأخر كما يسونغ للمتقدم .  
هذا مما جاء في باب المعانى . وتأتي بعده الموازنة . وما انتهى

الى الامدي من محاسن الشاعرين وهو خاتمة الكتاب . ويشتمل  
هذا الباب على ما افتقهنا به القول من ذكر الوقوف على الديار  
والآثار ووصف الدمن والاطلال والسلام عليها ، وتفصيل الدهور  
والازمان والرياح والامطار ايها و الدعاء بالسقيا لها والبكاء فيها  
وذكر استعجمانها عن جواب سائلها . وما يختلف قطينها من

الوحش وتعنيف الصحابة ولو ممّهم على الوقوف بها وممّا ذكره  
في إحسان البحترى في هذا قوله :

أمحلى سلمى اسمـا

وتعلما أن الهوى ما هجتها

هل ترويان من الأحبة هائما

أو تسعدان على الصباية مغريا

أبكىكما دمعا ولو أنى على

قدر الجوى أبكي بكىتكما دما

ومن جيد شعر أبي تمام قوله :

أرامة كنت مألف كل ريم لو استمتعت بالأنس القديم

أدار البؤس حسنـك التصـابـي إلى فصرـت جـنـاتـ النـعـيم

لـئـن أـصـبـحـتـ مـيـدانـ السـوـافـيـ لقد أـصـبـحـتـ مـيـدانـ الـهـمـومـ

وـمـا ضـرـمـ البرـاءـ أـقـيـ شـكـوتـ فـاشـكـوتـ إـلـىـ دـرـخـمـ

أـظـنـ الدـمـعـ فـخـدـيـ سـيـفـيـ دـسـوـمـاـ منـ بـكـائـيـ فـيـ الرـسـوـمـ

قال وهذا من أـسـهـلـ الـكـلـامـ وـأـسـلـسـهـ نـظـمـاـ وـمـنـ أـبـعـدـ القـوـلـ

مـنـ التـكـلـفـ وـالتـعـسـفـ وـأـشـبـهـ بـكـلامـ المـطـبـوعـينـ وـأـهـلـ الـبـلـاغـةـ

وقـولـهـ فـصـرـتـ جـنـاتـ النـعـيمـ معـنـىـ حـسـنـ .ـ وـلـكـنـ فـيـهـ إـشـرافـ

أن يجعل داراً خللت من أهلها دار بوس وهو بالك فيها جنات  
النعم وقد أتى البحترى بهذا المعنى متبعاً فيه أباً تام ولكنَّه جاء  
به على سبيل اقتصاد واعتدال واحتسب افراطه فقال :

يامقاني الأحباب صرت رسوما  
الف البؤس عر صتيك وقد كنة  
فقال :  
وقد ملوا  
ت بعيني جنة ونعمها

الف البوس عرصتيك وقد كنت بعيوني جنة ونعمها  
فجعلها جنة ونعمها فيها مضى . ومع هذا فإني أقول أن بيت  
أبي عام أحسن .

ولا أرى إسراها في قول أبي عام لأن الحب يبكي الديار الدارسة  
وينعهاها وهو مع ذلك يعشقها ويصبو إليها ويألفها وينظر إليها  
النظرة التي وصفها أبو تمام بمحنات النعيم . ولقد احتاط الشاعر  
للمعنى وقواه بقوله حسنك التصابي . وهو معنى صحيح مأثور  
وقد غفل الأمدي عن جيد البحترى وأبي عام . حيث قصر  
اختياراته على هذه الأغراض . ونسكتني بهذا القدر من رأى  
المتقدمين في البحترى وأبي تمام . وهو يعطيك صورة من وجوده  
النظر المختلفة في الشعراء .

## وصف الربيع

بين البحترى وأبى تمام

غاية ما يصل إلية الشاعر أو المصور إذا أراد أن يصف لنا الربيع . أن يعطينا صورة بدئعة تعبّر عن جماله ، وتحكى بما يخالج نفسه من الشعور نحو هذا الجمال .

وقد تكون هذه الصورة . منظرا من مناظر الطبيعة ، أو رمزا من الرموز لا يقل في تعبيره عن ذلك المنظر ، وفي كلتا الحالتين ينقال اليانا ذلك الشعور الرفيع الذي يخالج نفس الفنان ، أمام تلك المشاهد التي تخلب الاب وتهز أو تار القلوب . وبقدر ماليه من دقة الحس ، وقوه الانتباه ، وسلامة الذوق ، في تخbir الصورة التي يعبر بها عن تلك المشاهد العديدة ، وبقدر ما عنده من المقدرة على نقلها إلى إحساسنا . تكون قيمة عمله الفنية وفي وصف الربيع لأبى تمام والبحترى صورتان رائقتان ، يرى القارىء فيما أحسى ما يصل إلية شاعر أو مصور من هذه الناحية . وإذا كان للربيع جماله الذى يخلعه على كل شيء في الحياة

فقد كان أَخْص ما تنبه إليه أبو تمام في وصفه : صفاء الطبيعة ،  
وجمال الأَجْوَاء .

مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من الغضارة يُطْرِ  
غيمان فالأَنواء غيث ظاهر الك وجهاً والصحو غيث مضر  
فهو هنا ينفل إلى عالم الحس صورة مستكملة النواحي ،  
لغير المحسوس . فإذا بك تشعر به وتراه . بل ونکاد تتامسه  
بيديك . وهذا نوع رفيع من التصوير الشعري قل أن يصل إليه  
شاعر أو مصودر .

فإذا جاء إلى وصف الربى والرياض ، وما يكسوها الربيع من  
شتى المحسن والألوان . أعطاك الصورة الكاملة لما يريد أن ينقله  
إليك . فهنا الزهر الأبيض يمترزج بأمشعة الشمس فيتكون منها  
في الجو لون أزهر رقيق كأشعة القمر . فيبيب الشاعر بصاحبيه  
وهو في نشوة اللذة والطرب . أن انظرا معى إلى تلك الفتنة  
وذلك الجمال ، ودعوا هموم الحياة وشغلها ، فليست الحياة في  
الربيع إلا منظرا تجتليه العيون :

يا صاحبِي تفصيا نظريكا قريباً وجواه الأرض كيف تصور  
قرياناً هاراً مشمساً قد شابه نور الربى فكأنما هو مقمر

دانيا معاش للورى حتى إذا  
أضحت تصوغ بظونها لظهورها  
من كل زاهرة ترفرق بالندى  
تبعد ويحجبها الجميم كأنها  
وهنالك الزهر الأصفر والزهر الأحمر . فلا يكتفى الشاعر  
بأعطائك صورته ولو أنه ، حتى يعطيك الضوء الذي يلامسها

\*\*\*

حمرة مصفرة فكأنما  
عصب تيمن في الورى وتحضر  
من فاقع غض النبات كأنه  
در يشقق - قبل - ثم يزعفر  
او ساطع في حمرة فكأنما يدنو إليه من الهواء . معصفر

\*\*\*

فالدر المزعفر في وصف أبي تمام . يعطيانا صورة للأزهار  
الصفراء ، تستطع تحت أشعة الشمس .

أما الأزهار الحمراء ، فلم يكتف الشاعر بوصفها بذلك  
اللون ، فهو يرينا تأثيره على الفضاء الذي حوله : فأنت تنعم  
النظر فيها ثم تحوله . فترى اللون قد تحول معك ، فصبغ الهواء  
الذى حولك .

وليس هذا الوصف يبعيد عن الواقع المحسوس . ولا هو

من صنع الخيال . كما قد يتراهى . ولكنها ينطبق مع الواقع كل الانطباق فقد تكون الألوان من القوة والخلابة ، بحيث لا يغيب تأثيرها على شبكة العين ، مجرد تحول النظر عنها .

ووصف الربيع بهذه الصورة مما لم يسبق أبداً تمام إليه شاعر من الشعراء .

أما البحترى فقد أرانا الربيع في صورة رمزية بدعة . وكان حريصاً على التشخيص في جميع معانيه . وهذا نوع آخر من الوصف يحتاج إلى سعة في الخيال ودقة في التصوير ، واطف في الاحساس ، وقد اجتمعت جميعها في أبيات البحترى .

فأنت ترى الربيع شخصاً طلق المحساً ، ضحوك الوجه يختال في حلل الحسن والبهاء . فيكاد ينطوي بما حوى من الفتنة والجمال :  
أناك الربيع الطلق يختال صاحكاً

من الحسن حتى كاد أن يتكلما

هذه ولا مشك صورة مستكملة للربيع يزيدها جمالاً ، جزالة اللفظ وقوة التعبير . ولا يقلل من قيمة هذه الصورة ، أن أباً تمام سبقه إلى هذا التشخيص . فقال في احدى أراجيزه : إن الربيع أثر الزمان لو كان ذا روح وذا جسمان

مصورا في صورة الانسان لكان بساما من الفتى  
فليست هذه بالصورة التي تقارن بصورة البحترى ، بل  
هي على العكس صورة باهتة إلى جانب تلك الصورة الرائعة .  
فلم يزد أبو تمام على أنه صور الريبع : بيسام من الفتى ،  
قد يكون جميلا وقد لا يكون . وأين ذلك من الريبع الذى يزفه  
إليك البحترى في ذلك المهرجان العظيم .

ويستمر الشاعر فيعطيك من صور الأزهار تلك التي يفتحها  
النوروز في غسق الظلام :

وقد نبه النوروز في غلس الدجى أوائل ورد كن بالأمس نوما  
وانظر دقة التصوير الذى يجمع بين يقظة العيون الناعمة  
وتفتح تلك الأزاهير من الأكام ، وتأمل كيف استطاع أن  
يوفق بين هاتين الصورتين

فإذا استكمل للأزهار صورتها على التحوى الذى تراه في البيت ،  
أو ما إلى المعنى الشعري الذى توحيه فقال :

يفتقهما بود الندى فـ كأنه يbeth حدثياً كان قبل مكتبة  
وحديث الطبيعة على لسان الأزهار ، آية من آيات البحترى  
في ذلك العصر .

وهو يذكرنا بالشاعر الانجليزي الكبير وليم وردسورد  
الذى يرى في مناظر الطبيعة صوراً حية ، تخاطب الإنسان بلغة  
الكون ، وتعبر له عن أفكاره . فتنبه البحترى إليه ، وإيراده  
هذا الإيراد البديع نudge من حسناته التي تقابل بالاعجاب  
فإذا وصف البحترى الأشجار ، والربيع يكسوها تلك البرود  
الموشأة ، ونسيم الصباح في نعومته ورقته . لم يغب عنه أن يعطي  
وصفه تلك الصورة الإنسانية الحية :

ومن شجر رد الربيع لباسه عليه كما وشيئت برداً منمنها .  
أهل فأبدى للعيون بشاشة وكان قد في العين إذ كان محرما  
ورق نسيم الصبح حتى حسنته يحيىء بأنفاس الأحبة نعا  
وليس من همنا أن نفاصل بين الشاعرين ، فكل منهم قد  
وصف الربيع وصفاً بديعاً خلاباً . وإنما تمتاز الآيات الأولى  
بدقة الملاحظة ولطف الاحساس ، وعلى الأخص في تصوير  
الأجواء .

وتمتاز الثانية بحسن التصور وسمو الخيال اللذين يظهران  
في تشخيص الشاعر لمناظر ، وتصويره لما وراءها من الإيحاء ،  
يزيد في قيمتها جمال الموسيقى وبهجة الألفاظ .

## وصف المطر

عند أبي تمام والبحري

لأبي تمام أمجاد شعرى بديع فى وصف المطر ، وله دقة فى  
تصوره فى صوره المختلفة . فهناك المطر الرقيق الذى يأتي فى  
الربيع . صوره فى بده قصيدة فى وصف الربيع وقد تكلمنا عنها  
فى الفصل السابق .

وهناك المطر الغزير الذى يصاحب السكون فلا رعد ولا برق .  
ولكن ديمة سمححة القياد تهمى على الأرض المتشوقة المستغيبة  
بشوّبوب طيب بديع ، فيكشف الروض عن رأسه ، وتبدو  
روعته وينجلى المحل حيث كان :

فإذا الرى بعد محل وجراجا ن لدتها ييرين أو ملحوب  
وهذا نوع آخر من المطر وقد استهل بوصفه قصيده  
الرائعة . في مدح محمد بن عبد الملك الزيات ويقول فيها :  
ديمة سمححة القياد سكوب مستفيث به الرى المكروب

لو سمعت بقعة لاعظام نعمى  
فهي ماء يجري وماء يليه  
لذ شؤوبها وطاب فلو تس  
كشف الروض رأسه واستسر  
فإذا الرى بعد محل وجراجا  
فوصف هذه الديمة بالسلasse واللين ، واتخذ لها صورة  
الجياد . أو العيس السمحقة القياد السهلة المأخذ . ثم وصف أثر  
هذه الديمة في الأرض ثم أثرها في القلوب أبدع وأجمل وصف  
وقد تبعه المتنبي في البيت الثاني فقال :

لو تعقل الشجر التي قابلتها مدت محية إليك الأغصنا  
وفي البيت الرابع يصف أبو تمام تتبع الماء ونشوء المطر ثم  
انسكابه دواليك . فإذا أنت أمام صورة بدعة تريلك هذه الديمة  
وتصور إحساس الشاعر بها ودقة تصوره لها في الأرض والسماء  
وفي منشيها وأنحدارها وحال الأرض التي نزلت عليها .

وصورة في شعر أبي تمام تختلف عما تقدم وتلك هي صورة  
طر تصاحبه الغيم وتلازمه الرعد والبروق ، ويشتم فيه  
النلاح كالكميل بعد السن ويقول فيه :

لم أز عيرا جمة الدعوب تواصل التهجير بالتأويبه  
أبعد من أين ومن لغوب منها غداة الشارق المضروب  
نجائبا وليس من نحيب شدائه الأعناق بالعجبوب.

\* \* \*

فهو هنا يبدأ بوصف السحب ويصورها بالغير الدعوب ،  
تشبه أذنابها أعنافها لتراكمها وتتابعها السريع ثم يستطرد في  
وصفها فيقول :

كالليل أو كاللوب أو كالنوب منقادة لعارض غريب  
كالشيعة التفت على النقيب آخذة بطاعة الجنوب  
والمحصود بالجنوب هنا القلوب . ويسترسل الشاعر في  
الوصف فيصور : إحساس الأرض بهذه السحب كما يراه في  
نفسه فيقول :

لما بدت للأرض من قريب تشوافت لوبها السكوب  
تشوف المريض للطبيب وطرب المحب للحبيب  
وفرحة الأديب بالأديب وخيمت صادقة الشؤوب  
ثم يصور صوت الرعد ، وهو ينبعث من عجل ، وتناولح  
الرياح في الآفاق فيقول :

فقام فيها الرعد كالخطيب وحنت الريح حنين النبيب  
ثم يقول في وصف الأرض في ردائها المرصع بالأزهار  
وانتشار التلوج :

والأرض في ردائها القشيبة  
بعد اشتباب الثلوج والضرير  
تبدل الشباب بالمشيبة  
وغلبتم من الثرى المغلوب  
ويختتم تلك الصورة بهذا البيت الرائع :

الذى نادى الريح والصبيب كأنها تهمى على القلوب

\*\*\*

ولابي تمام في وصف المطر غير ما تقدم . قصيده الدالية  
التي يقول في مطلعها :

حمد من قوه له حماد في ناجرات الشهير لا الدآدى<sup>(١)</sup>  
ومنها :

سيارة سمحنة القياد مسودة مبيضة الأيدي  
سهامدة نوامة بالوادى كثيرة التعريس بالوهاد

(١) حماد : أى حمدا . والناجرات الشديدة الحر والدآدى ليالي الحماق

نزالة عند رضا العباد قد جعلت الم محل بالمرصاد  
سبقت برق ضرم الزناد كأنه ضمائر الأغاد  
وضمائر الأغاد كنایة عن السیوف .

\*\*\*

والبحترى أبيات تدخل في هذا الباب يقول فيها :  
ذات ارتياز بحنين الرعد مجرودة الذيل صدوق الوعد  
مسفوحة الدمع بغیر وجد لها نسيم كنسيم الورد  
ورنة مثل زفير الأسد ولع برق كسيوف الهند  
جاءت بهاريج الصبا من نجد فانتشرت مثل انتشار العقد  
فراحت الأرض بعيش رغد من وشى أنوار الربا في برد  
كأنما غدرانها في الوهد يلعن من حبابها بالنرد  
ويروى أن هذه الأبيات قصة وهي أنه دخل على المتوكل  
وهو جالس ببعض البرك والماء يسقط فيها ، فقال له قل في هذا  
يا بحترى قال البحترى ولم أكن ذا بديبة ولكن اعزتم جانبا  
حتى قلت الأبيات ، فقال المتوكل أنظروا ماذا في الخزان من  
ماء الورد العتيق فادفعوه الى البحترى قال فأخذت من ذلك شيئا  
جوبنته بمال . وأنا دفع اليه المتوكل ماء الورد لقوله :

لها نسيم كنسيم الورد . وهذه القصبة تفسر الاختلاف  
الظاهر بين أبيات البحتري وأبي تمام .

فأبو تمام إنما يصف المطر في صورة واسعة مفتوحة وكثيراً  
ما عرض له ذلك وهو على سفر بعيد أو مشرف على منظر من  
مناظر الطبيعة الفسيحة الارجاء .

ولكن البحتري هنا يصف المطر في صورة محدودة أمام  
بركة من برك المتوكلا مهما قيل فيها فإنها من صنع الإنسان .  
فجاء وصفه على مأ فيه من جمال واتقان منطبقاً على الصورة التي  
يراهما ويندو التقطيف والبداؤة في أبيات أبي تمام ويلوح الترف  
والغضارة في وصف البحتري وكلما الوصفين يدعي في نوعه صادق  
في تصويره .

## القصور

### في شعر البحترى

هذا الباب من الأبواب التي سما فيها البحترى ، ويزغ نجمه  
ونجحت شاعريته ، وقد أتاج له قربه من الخلفاء . وملازمه  
بعضهم من عوامل الترف ما امتنج بروحه الشاعرة . فنظم في  
وصف القصور التي تفتقنوا في إبداعها ، آيات فنه . وإذا كانت  
تلك القصور قد عفى عليها الدهر وذهب أثرها ، فإن شعر البحترى  
فيها لا زال باقيا يريك صور البذخ الذي كان يستمتع به الخلفاء  
في أواسط القرن الثالث الهجرى ويقول فيها :

حملل من منازل الملك كالأ نجم يامعن في سواد الظلام  
مفحمات تعى الصفات فما تد رك إلا بالظن والأوهام  
فكأننا نحسها في الأمانى وزراها في طارق الأحلام  
وقد وصف البحترى البركة التي أنشأها المتوكل في قصر  
الجعفرى فيجمع بين دقة التصوير ورقعة الموسيقى وغذوبة اللفظ .

فوصف صفاء البركة وتدفق المياه فيها بقوله :

قالت هي الصرح تغليلاً وتشبيهاً  
فلو تمراها بلقيس عن عرض  
كأنهيل خارجة من حبل مجرتها  
تنصب فيها وفود الماء معجلة  
كأنما الفضة البيضاء سائلة  
من السبات تجري في مجاريها  
ثم وصف النسم وهو يمر عليها فيحدث غضونا على صفتها.  
وانتفقل من ذلك إلى وصف الشمس وهي تلقى أشعتها عليها ثم  
الغيث وهو يهمي من فوقها . ووصفها في الليل والنجوم متألقـة  
فوقها مزدهرة على أديمها وانتقل بعد ذلك إلى وصف الأسماك  
وهي تسبح فيها فلا تبلغ غايتها ، ووصفها وهي تنزل إلى أغوارها  
ثم ترتفع إلى سطحها . وقد بلغ في ذلك جميعه غاية ما يتطلبـه  
الوصف من جمال فيقول :

إذا علتم الصبا أبدت لها حبـا

مثل الجواشن مصقولـاً حواشـها

خاجـبـ الشـمـسـ أحـيـانـاـ يـضـاحـكـها

وريقـ الغـيـثـ أحـيـانـاـ يـبـاـكـها

إذا النجـومـ تـرـأـتـ فـيـ جـوـانـهاـ ليـلاـ حـسـبـتـ سمـاءـ رـكـبتـ فـيـهاـ

لاـ يـبـلـغـ السـمـكـ المـحـصـورـ غـايـتهاـ لـبـعـدـ ماـ بـيـنـ قـاصـيهـاـ وـدـانـيهـاـ

يُعْمَنُ فِيهَا بِأَوْسَاطِ مَجْتَمِعَةٍ  
كَالظِّيرٍ تَنْقَضُ فِي جَوِّ خَوَافِيهَا  
لَهُنْ، صَحْنٌ رَحِيبٌ فِي أَسْفَالِهَا  
إِذَا انْحَطَطْنَ وَبِهِوْ فِي أَعْالِيَهَا  
وَوَصَفَ الْبَحْتَرِي الصَّبِيْحَ وَالْمَلِيْحَ وَهَا قَصْرَانَ بَنَاهَا الْمَتَوْكِلُ :  
وَاسْتَمْ الصَّبِيْحَ فِي خَيْرِ وَقْتٍ فَهُوَ مَغْنِي أَنْسٍ وَدَارِ مَقَامٍ  
نَاظِرٌ وَجْهَهُ الْمَلِيْحَ فَلَوْ يُسْتَطِيعُ حَيَّاهُ مَعْلَمًا بِالسَّلَامِ  
أَلْبَسَا بِهِجَةَ وَقَابِلَ ذَا ذَا لَكَ فَنَ ضَاحِكٌ وَمَنْ بِسَامِ  
مُسْتَمْدٌ بِمَجْدُولٍ مِنْ عَبَابٍ الْمَاءَ كَلَأْ يَضِيِّعُ الصَّقِيلَ الْحَسَامِ  
وَإِذَا مَا تَوَسَطَ الْبَرَكَةَ الْحَسَنَاءَ الْقَتْلَ عَلَيْهِ صَبَغَ الرَّخَامِ  
وَفِي هَذَا الْوَصْفِ قَبَدُوا بِهِجَةَ الْقَصُورِ وَأَنْسَاهَا ، وَكَأَنَّهَا  
تَضَحِّكٌ أَوْ تَبَسَّمٌ عَمَّا أَوْدَعَتْ مِنْ جَمَالٍ وَحَوْتَ مِنْ قَعِيمٍ ، وَمِنْ  
بَدِيعِ مَا فِيهَا التَّفَاتَهُ إِلَى صَبَغِ الرَّخَامِ وَهُوَ يُعَكِّسُ لَوْنَهُ عَلَى الْبَرَكَةِ  
وَوَصَفَ قَصْرُ الْكَامِلِ الَّذِي بَنَاهُ الْمُعْتَزُ بِاللَّهِ بِقَصْيِدَتِهِ الَّتِي  
وَلَ فِيهَا :

لَا كَلِمَتٌ رُوِيَّةٌ وَعَزِيمَةٌ أَعْمَلْتَ رَأْيِكَ فِي ابْتِنَاءِ الْكَامِلِ  
وَغَدَوْتَ مِنْ بَيْنِ الْمَلُوكِ مُوفِقاً مِنْهُ لَأَيْمَنِ حَالَةٍ وَمَنْـازِلِ  
ذُعْرِ الْحَمَامِ وَقَدْ تَرْنَمَ فَوْقَهُ مِنْ مَنْظَرِ خَطَرِ الْمَزَلَةِ هَائِلٌ  
وَفِي الْبَيْتِ التَّالِثِ مِنْ هَذِهِ الْأَبِيَّاتِ صَوْرَةٌ مِنْ نَوْعِ التَّأْيِيرِ

الذاتي في الشعر . وذلك أن يعطيك الشاعر الأثر الذي يريد  
في نفسك بصورة تحدث ذلك الأثر فأن وصف الحلم بالذعر  
يعطيك تلك الصورة الرهيبة لذلك المنظر الشاهق .

وقد أبدع البحترى القول في وصف زجاج القصر ووصف  
الرخام وقد خلعت عليه ألوان الجدران المختلفة . ووصف في تلك  
القصيدة السقوف المحلة بألوان الذهب وقد شمع سناها على  
الظلام في أبيات متألقة المعانى ، متينة السبك . وكأنما انتقل  
إليها صفاء المنظر وجماله وعظمته ويقول فيها :

وكان حيطان الزجاج بجواه لجج يمجن على جنوب سواحل  
وكان تفويف الرخام إذا التقى تأليفه بالمنظر المقابل  
حيث الفمام رصفن بين منمر ومسير ومقارب ومشاكل  
لبست من الذهب الصقيل سقوفه

نورا يضيء على الظلام الحافل

فبرى العيون يجلن في ذى رونق

متلهب العالى أنيق السافل

فإذا أعطاك صورة القصر بما فيها من الألوان البدية

الساحرة انتقل بك إلى وصف بستانه :

وَكَأْنَمَا نَشَرْتُ عَلَى بِسْتَانِهِ سَيِّرَاءُ وَشَى الْيَمِنَةِ الْمُتَوَاصِلِ  
أَغْنَتْهُ دَجْلَةٌ إِذْ تَلَاقَ فِيْضَهَا

عَنْ صَوْبِ مَنْسِجِمِ الرَّبَابِ الْمَهَاطِلِ

وَتَنَفَّسَتْ فِيهِ الصَّبِيَا فَتَعْطَفَتْ

أَشْجَارَهُ مِنْ حَبْلٍ وَحَوَامِلٍ

مَشَى الْعَذَارِيُّ الْغَيْدُ رَحْنَ عَشِيشَةٍ

مَا بَيْنَ حَالِيَّةِ الْيَدِينِ وَعَاطِلِ

وَوَصَفَ الصَّبِيَا وَهِيَ تَتَنَفَّسُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ فَتَعْطَفُ أَفْنَانُهَا

كَالْعَذَارِيُّ الْغَيْدُ وَصَفَ بَدِيعُ يَزِيدَهُ حَسَنَا تصْوِيرَ النَّمَارِ وَالْأَزْهَارِ

بِتَلْكَ الْأَوْصَافِ الرَّائِعَةِ . وَلَمْ يَسْبِقَ الْبَحْرَى شَاعِرَ مِنَ الْمُتَقْدِمِينَ

فِي وَصْفِ الْقَصْصُورِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الْفَرِيدِ .

## وصف ايوان كسرى

للمختارى

اعل قصيدة المختارى في وصف ايوان كسرى، هي خير  
ما نظم ، بل هي من خير ما نظم في الشعر على الاطلاق. ولا إدخال  
أثرا من الآثار خلده الشعر بمثل ما خلدت قصيدة المختارى ذلك  
الايوان . وقد جرى في هذه القصيدة على طريقة التسلسل  
والاستقصاء وأخرج فيها الصور في شتى المظاهر والألوان . فتنقل  
من معنى نفسي إلى معنى حسى . ومن صور ملموسة تتقرأها  
بيدك ، إلى صور ملحوظة تتقرأها بذهنك ، واتهوى من ذلك  
إلى الكلام عن بناء الايوان وما كان له من العظمة والفخار ،  
وقد خلع عن نفسه في ذلك القدس كل ما فطر عليه العربي من  
التعصب لجنسه في أبيات تقىض بالرقة وصدق الاحساس :  
حلل لم تسكن كاطلال سعدي في قفار من الهمame ملمس  
ومساع لولا الحباة مني لم تقطقها مسعاة عنس وعيس  
ومنها :

ذلك عندي . ولنست الدار داري  
باقتراب منها ولا الجنس جنسى  
غير نعمي لأهلها عند أهلى  
غرسوا من ذاكها خير غرس  
أيدوا ملائكة وشدوا قواه  
بكاء تحبت السنور دعس  
وأراني من بعد أكفل بالأشد  
مراف طرا من كل سنه وأس  
ويبدأ البحرى هذه القصيدة بأبيات حزينة مؤثرة تمثل  
حالة الشاعر المعنوية ، فيilmiş ذلك الآخر ، وقد هيأ لك الجو الشعري  
الذى كان يحيط به وبهلا نفسه فيقول :  
صنلت نفسى عمما يدنس نفسى وترفعت عن جدى كل جبس  
والجبن اللئيم .  
ونمسكت حين زعزعني الده ر التماسم منه لتعسى ونكسى  
ويقول :

حضرت رحلى الهموم فوجئت إلى أيةض المدائن عنى  
أنسلى عن الحظوظ وآسى لحل من آل ماسان درس

ذكر تذيم الخطوب التوالى . ولقد تذكر الخطوب وتنسى  
ثم ينتقل بك إلى وصف صورة إنطاكية ، وهى مرسومة  
على الجدار ، وتمثل معركة بين كسرى أنسروان والروم فى  
أنطاكية ، وهنا تتجلى مقدرة البحتري الفنية ، فيعطيك وصف  
الصورة بالوانها وشياتها ، ثم يربك وقعها فى نفسه ، وينفذ إلى  
ما وراء تلك الصورة من الرهبة والرعب فى وصف المعركة  
ويقول فى ذلك :

فإذا ما رأيت صورة أنطا  
كية أرتعت بين روم وفرس  
والناريا موائل وأنو شر  
وان يزجي الجيوش تحت الدرفس  
في اخضرار من اللباس على أص  
فرا يختال في صلبيعة ورس  
وعراك الرجال بين يديه  
في خفوت منهم واغماض جرس  
من مشييع بهوى بعامل رمح وملح من السنان برس  
يغتلى فيهم ارتقابي حتى تنقر لهم يداى بامس

---

(١) الدرفس : الراية .

وقد فطن البحترى إلى كل ما يطلب من الشاعر في هذه الآيات قلم يترك شيئاً محتاجه النفس في تملك الصورة إلا نقله في إجمال يغنى عن التفصيل ..

ثم هو يصف الايوان وعظمته ، وما حل به من الكآبة عد فراق أهله ويتخيل فيه وفود كسرى خلف الزحام والقيان وراء المقاشير يرجعون الأغانى والآناشيد :

وكان اللقاء أول من أمس ووشك الفراق أول أمس

ومن قوله في وصف الايوان :

وكان الايوان من عجب الص

نعة جوب في جنب أربعين جلس

يقطني من الكآبة أن يمدو لعيلى مصباح أو ممسى

مزعجا بالفارق عن أنس إلف

عز ، أو مرهاقا بتطليق عرس

عكست حظه المليالى وبات الم

شرى فيه وهو كوكب نحس

فهو يبدى تحجما وعليه كلاكل الدهر مرسى

وقد تبع البحترى في هذا المعنى الشريف الرضى ،

قال في وصف بيت قديم:

بالي العمالى أطريقت شرفاته إطراف منجدب القرينة عانى  
ومن قول البحترى في وصف الايوان :

مشهداً خر تعلو له شرفات رفعت في دءوس رضوى وقدس  
لباسات من البياض فما تبصرا منها إلا غلائيل برس  
ليس يدرى أصنع أنس لجن سكناوه أم صنع جن لا إنس  
غير أنى أراه يشهد أن لم يك بانيه في الملوک بنگس

• • •

فـكـانـي أـرـىـ المـرـاتـبـ وـالـقـوـ مـ إـذـاـ ماـ بـلـغـتـ آـخـرـ حـسـيـ  
وـكـانـ الـوـفـودـ ضـاحـيـنـ حـسـرـىـ

من وقوف خلف الزحام وخذلنس

## الحكمة في شعر أبي تمام

من تمام القول في هذا الكتاب، أن نعرض للحكمة في شعر أبي تمام — وأنا في الحقيقة أخرج من إدخال الشعر في هذا الباب . فالشعر في الواقع شيء غير الحكمة . والحكمة المجردة التي تجري مجرى المثل لا قيمة لها من الناحية الشعرية .

وقد كان بعض الشعراء يرمي من نظم الحكم إلى خلودها، وسيرها على الألسنة ، لأنها كلام عام لا يحمل معنى شخصياً أو حدثاً معيناً . . . والحكمة في رأيي إذا خلت من صورة شعرية ، أو التفاهة ذهنية ، أو معنى نفسانياً ، خرجمت من دائرة الشعر . ودخلت في باب المتون المذوومة .

ومن الانصاف ل أبي تمام أن نقول إنه لم يكن يعني بهذا النوع من الشعر ، وله من الحكم ما يأتي بغير قصد وتحلّب عنده الصورة الشعرية على الحكمة . أو يكمل كل منها الآخر حتى يصيرها شيئاً واحداً . من ذلك قوله في قصيدة إلى أحمد ابن أبي دؤاد :

إذا أراد الله نشر فضيلة طويت أثاخ لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيها حوالها ما كان يعرف طيب عرف العود

والصورة الشعرية ظاهرة في هذين البيتين، وهي الحكمة

شيء واحد ومثل ذلك قوله :

لاتنكر واعطل الـ كريم من الغنى

فالسيل حرب للسكنى العالى

ويبدو التصور الشعري والاحساس النفسي في مثل قوله :

دنيا معاش للورى حتى اذا جاء الربيع فانما هي منظر

وتظهر الانتفاثة الفكرية في قوله :

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت

ويقتل الله بعض القوم بالنعم

ورعاوردت الحكمة في شعره وهو بمعرض الغزل مثل قوله :

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى

ما الحب إلا لمحبب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

وحينئه أبداً لأول منزل

في เมزاج الحذين بالعبرة، والهوى بالحكمة . وتسير النفس

الشاعرة ، والنفس المفكرة جنباً إلى جنب ، في ظلال وارفة من

الجمال . وقد ترد على لسانه وهو يتغنى بوصف الخمر مثل قوله :  
وَضُعِيفَةٌ فَإِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً قُتِلَتْ كَذَلِكَ قُدْرَةُ الْمُضْعَفَاءِ  
فَهُنَّى وَصْفُ الْخَمْرِ يَقْتَرِنُ بِالْحَكْمَةِ الْعَالِيَّةِ فِي وَصْفِ  
الْمُضْعِفِ إِذَا وَجَدَ الْمُقْدِرَةَ عَلَى الْبَطْشِ . وَكَثِيرًا مَا تَمَلَّوْا بِقَوْلِهِ  
هَذَا فِي وَصْفِ الْمَرْأَةِ . وَرَبِّمَا جَاءَ بِالْحَكْمَةِ الْخَالِدَةِ وَهُوَ بِعُرْضِ  
الْمَهْجَاءِ مُثِلُّ قَوْلِهِ فِي هَجْلَاءِ عَتَبَةَ بْنَ أَبِي عَاصِمٍ .

هُمُ الْفَتَى فِي الْأَرْضِ أَغْصَانُ الْمَنْيَى

غَرَسْتُ وَلَيْسَتْ كُلُّ حَيْنٍ تُورِقُ

وَإِذَا عَرَفْنَا تَأْثِيرَ الْحَكْمَةِ فِي الطَّبِيعَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَمَبْلَغُ مَا لَهَا  
مِنَ الْقُوَّةِ فِي الْحَيَاةِ الْفَكْرِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ فِي عَصْرِ أَبِي تَعَامِ وَمَا  
تَقْدِيمُهُ مِنْ عَصُورِ الدُّولَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِلَ وَفِي عَصُورِ الْجَاهِلِيَّةِ تَبَيَّنَ  
لِنَا قِيمَةُ الْحَكْمَةِ فِي شِعْرِ أَبِي تَعَامِ وَمَا كَانَ يَنْفَسُهُ الشُّعْرَاءُ مِنْهَا .

رَوَى صَاحِبُ الْأَغْنَى قَالَ :

« حَدَّثَنَا هَارُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَهَبِيُّ قَالَ . كُنَّا فِي حَلْقَةِ دَعْبِيلِ ،  
فَجَرَى ذِكْرُ أَبِي تَعَامِ ، فَقَالَ دَعْبِيلُ كَانَ أَبُو تَعَامَ يَتَبَعَّ مَعَانِي  
فِيهَا خَذَهَا . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِهِ . وَأَيْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَعْزُكُ اللَّهُ ؟ »

قَالَ قَوْلِي :

وإن امرؤ أسدى إلى بشافع  
إليه ويرجو الشكر مني لأتحقق  
شفيعك فاشكر في الحوائج إنه  
يصوّذك عن مكروهها وهو يخافق  
فقال الرجل فكيف قال أبو تمام ؟ فقال قال :  
فلقيت بين يديك حلو عطائه  
ولقيت بين يدي من سؤاله  
وإذا امرؤ أسدى إليك صناعة  
من جاهه فكانها من ماله  
فقال والله لئن كان أخذته منك لقد أجاد فصار أولى به منك ،  
وان كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه  
ولتكننا نخطيء إذا وصفنا أبا تمام بالحكمة ووقفنا عند هذا  
الحد ، تمشيا مع قول من قال : المتنبي وأبو تمام حكيمان والشاعر  
البحترى فالأغراض الشعرية كثيرة في شعره وإنما تأتي الحكمة  
عرضًا في سياقها . فهو حلية في ذلك إلا كليل الذي تزيين به  
هامة الشاعر وإن لم تكن أزهى ما فيه ، حللي والزيادات .

شارع أمين باشا سامي  
بالمنيا

# دار الفكر العربي

تلفون ٥٦٤٦٧

مؤسسة عربية للنشر والطباعة

## أصدرت هريراً

- أدب مصر الإسلامية : للدكتور محمد كامل حسين المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد اتجاه جديد في فهم الأدب وإبراز لخصائصه على ضوء الروح المصرية الأصلية وثمنه ٢٥ قرشاً
- تاريخ الأدب الفارسي : تأليف الدكتور رضا زاده شفق الأستاذ بجامعة طهران وترجمة الأستاذ محمد موسى هنداوى المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد ، يسد حاجة المؤرخ والأديب والدارس لغة الفارسية ، وبه ما يقرب من أربعينات بيت من الشعر وخريطتان للعالم الإسلامي وأشهر مدنه وبعض اللوحات عن أهم الشخصيات ... . . . . . وثمنه ٤٥ قرشاً
- أبو العلاء المعري ناقد المجتمع : للدكتور زكي المحسنى الأستاذ بجامعة دمشق ، أول كتاب يبحث في نقد أبي العلاء للمجتمع رجاله ونسائه . . . . . وثمنه ٣٠ قرشاً
- قصصنا الشعبي : للدكتور فؤاد حسينين الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد ، قال فيه الأستاذ محمود تيمور بك: «اطلعت على أبحاث فنية دمجتها راير اعتنكم الكريرة فرأقني فيها تحليكم الفي لهذا القصص واهتمامكم بالتعريف به » . . . . . وثمنه ٣٠ قرشاً
- الأدب المقارن : تأليف فان تيجم ، باكورة سلسلة الآداب العالمية التي تتولى دار الفكر العربي إصدارها من تأليف أعظم الأساتذة المختصين ، وترجمة خيرة الكتاب والأدباء العرب . نقطة حاسمة في تاريخ الدراسات باللغة العربية . . . . . وثمنه ٢٠ قرشاً
- الأدب الأنجلزي : تأليف بول دونان ، الكتاب الثاني من سلسلة الآداب العالمية التي يهدى ظهورها فتحاً جديداً في دراسة الأدب الأوروبي باللغة العربية . ويشمل الصفوه المتأخرة من الأدباء الأنجلزيز من معاصرين وقدمى مع سرد واف لمؤلفاتهم وبحوثهم وثمنه ٣٠ قرشاً

- فن القول : للأستاذ أمين الحولي الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، توجيهه جديد  
• في دراسة البلاغة العربية على أساس علم النفس وفلسفة الفن وعلوم اللغة وثمنه ٣٥ قرشا

• النقد الأدبي : أصوله ومناهجه : للسيّاح المعرف سيد قطب ، كتاب يتحدث عن النقد  
• متناولًا الشعر والقصيدة والأقصوصة والمتكلة والترجم والبحث والمقالة ... وثمنه ٢٥ قرشا

• النحو الجديد : تأليف الأستاذ عبد المعال الصعيدي ، دراسة لأعظم ثورة على نحو  
• سيفويه مع وضع أصول جديدة للنحو ... . . . . . وثمنه ٢٠ قرشا

• في الأدب الحديث : للأستاذ عمر الدسوقي الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد ،  
• دراسة لعوامل النهضة الأدبية في العصر الحديث من سياسية واجتماعية ، وعرض لأشهر  
• الشخصيات الأدبية المعاصرة . . . . . وثمنه ٣٥ قرشا

• الكلام في شعر البحترى وأبى تمام : للأستاذ محمد طاهر الجلاوى : نشأة النقد عند  
• العرب ، رأى المتقدمين في شعر البحترى وأبى تمام ، وصف الريبع والمطر بين البحترى  
• وأبى تمام ، القصور في شعر البحترى ثم الحكمة في شعر أبى تمام ... وثمنه ١٢ قرشا

• أغاريد السحر : ديوان شعر للأستاذ على الجندي المدرس بكلية دار العلوم أربعة دواوين في  
• ٣٧ صفحة مخللة بالصور الرمزية وهي : من الأعماق ، أصوات الحوادث ، أنفاس الأشجان ،  
• فتح الغواى تجمع بين الدرباجة الفاخرة والمعنى الدقيق والخيال الرائع ... وثمنه ٣٠ قرشا

• المسرحية في شعر شوقى : للأستاذ محمود حامد شوكت المدرس بالمدارس الثانوية الأميرية  
• بحث في شعر شوقى وتقديم لتاريخ المسرح المصرى مع تحليل وتقدير كل مسرحية وثمنه ٤٠ قرشا

• هسيود : شاعر إغريقي نادى بالسلم أداة ل التعامل والحبة دستوراً للحياة ، لقب ببني عصره ؟  
• وقد تضمنت منظومته الأعمال والأيام من حكم وعظات وقد اجتماعي صريح وبه أول تقويم  
• زراعي ، أول كتاب تربى سمعت الأجيال المختلفة بتدرسيه ؟ ترجمة الأستاذ أمين سلامة  
• ليبانى فى الأدب اللاتيني ... . . . . . وثمنه ١٥ قرشا

• شعر الحرب فى أدب العرب : للدكتور زكي المحسنى ، بحث من الأبحاث الدقيقة التي  
• تناولت جانباً مهجوراً من الأدب العربي منذ نشأته حتى عصر المتنبي ... وثمنه ٤ قرشا

# تصويب

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
إنشاد	إنشاء	٥	٧
حتى ظنت فوافيه	حتى ظنت	٣	٨
بطلع	بطلع	٥	٤٤
الخطوط	الخطوب	١٣	٤٤
عقل	عقد	١٠	٤٧
الأيظاه	الأيظام	٨	٦٦
بكاني	بكاتي	١١	٧٢



أ. علاء الدين شوقي

[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)

طبعه ارعا نهاد بصر